

الفصل الخامس

مباحث في التربية الإسلامية

✽ الغزو الثقافي للمجتمع الاسلامى ، وموقف التربية الاسلامية
ازاءه :

لعله بات من المسلم به فى عالم اليوم . نكالب قوى متعددة الأهداف والاتجاهات فى الشرق والغرب . تريد النيل من المسلمين . وبناتلى الحاق الضرر بالاسلام . والشواهد والمرائى تتواتر على تواجد الآلاف من الجمعيات التى تعمل ضد الاسلام . من أجل النيل منه والفتك بمعتقديه .

ولعل السؤال الملح الذى يحتاج الى اجابة واضحة هو :
ما سبب تلك الفجوة الخطيرة بين الاسلام كدين له مقومات —
نظم لو احسن تطبيقها — السعادة للأفراد والجماعات . وبين السلوك
ذى يمارسه المسلمون . وتبدو فيه مظاهر البعد بنسب متفاوتة عن
تطبيق منهج الاسلام الصحيح ؟ أو بمعنى آخر :
لماذا لا يوجد أثر قوى لما ينادى به المصلحون ورجال الدعوة
والفكر . بالرغم من الكثرة الكبيرة فى الأفراد والمؤسسات التى نبضت
بهذه المهمة ؟

ولعلنا لا نجانب الصواب حين نؤكد أن التربية بما لها من رصيد
ضخم وهائل فى تنمية قدرات الأفراد فى جميع المجالات قادرة — لو أحسن
التخطيط لها — على احداث التناسق بين الفرد وبين عقيدته وبين الفرد
ومجتمعه . وبالتالي يمكن أن ينتظم المجتمع . بل ويتوقع أن تختفى منه
— فى الغالب — فجوة الخلطة بين الفكر والعمل والنظر والتطبيق كما
هو مشاهد فى مجتمعنا الاسلامى اليوم .
ولكن وقبل أن تقوم التربية بهذا الدور . لابد من كشف النقاب

عن هذا الغزو الثقافي . لمعرفة طبيعته وأساليبه ومدى تأثيره في المجتمع الاسلامي .

وحتى نقف على ذلك . فان هناك صعوبات تبدو في الأفق . وذلك نظرا لتعدد أطراف المشتركين في ممارسة هذا الغزو : وتنوع الأساليب المستخدمة . سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات . فهم يستخدمون أساليب متنوعة . ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . ولا يمكن للفرد العادي أن يكتشف مضمون ومحتوى تلك الأساليب ناهيك عن جذب قطاع كبير من المثقفين — خصوصا من درسوا في معاهد التعليم بتلك البلاد — الى تلك الاتجاهات بل والدفاع عنها أحيانا .

وقد يصل الأمر الى العمل خفية . سواء على مستوى الفرد أو الجماعة . لبحث هذا الفكر الثقافي الواغد : والغريب عن البيئة الاسلامية .

ومما يزيد في ضخامة هذه المشكلة : أن بعض المؤيدين للفكر الواغد : قد يتذرعون بمبادئ تبدو كمسلمات في كثير من الأحيان .
ومن تلك المبادئ :

١ — أن التبادل الثقافي أمر مطلوب : وأن الاسلام لم يحجر على الفكر . بل أطلق للإنسان الحرية في التزود من الثقافة أينما وجدت وحيثما حلت . وفات هؤلاء أن الاسلام يبيح ذلك ، طالما تم تحت رغبتنا وباختيارنا . وجاء متمشيا مع الاسلام ومتضمنا لقيمه ومبادئه .

٢ — أن الغزو الثقافي يتم في ظل فكر غريب عن البيئة الاسلامية والمجتمع الاسلامي . وهذا الغزو في حقيقته صدى لآراء مفكرين غير مسلمين . يحاولون فرض هذا الفكر على المجتمع الاسلامي . أو بمعنى آخر يحاولون فرض ذلك من جانب واحد على الإنسان العربي المسلم وعلى المجتمع المسلم .

هذا ولم تسلم المؤسسات التربوية والتعليمية . من هذا الغزو : بل جاءت على رأس الركائز التي كرست لها تلك الحملات كل جهودها ، ذلك أنها تدرك تماما أن بذر تلك السهوم بين البراعم الغضة أمر له أهميته في تطعيم هذا الجيل بفكر ملوث ، يهدف الى بليلة في الفكر ، وذذبذة للفرد ، في سبيل قلة ثقته في معتقداته ومقدراته الثقافية والحضارية .

ومن هنا نتقع على التربية مسئولية خطيرة في مواجهة هذا الغزو الثقافي وتلك الحملة المسعورة الموجهة ضد المجتمع الاسلامى . وانتى تدعى - ضمن ما تدعى - أن الاسلام دين تواكل . وأنه لا يواكب الحياة المعاصرة . الأمر الذى يثير الشبه حول الاسلام . ويشيع أفكارا مسمومة بالكذب والبهتان .

ناهيك عن تأثير تلك الحملة في احداث التفرقة بين اندول الاسلامية بترويج النزعة العرقية . وتفشى الروح المذهبية . وتمزق الشخصية الاسلامية .

والواقع أن الاسلام دين نه مقومات تتمشى مع الطبيعة الانسانية ؛ ولا تتعارض معها . وهو دين يوائم بين صالح الفرد في دنياه وأخراه . كما يتيح للفرد أن يعمل في الدنيا ويجتهد على أن يكون ذلك من أجل الآخرة . قال تعالى : « **وابتغ فيما أناك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين** » (١) .

والثقافة الاسلامية والتراث الاسلامى غنى ومملوء بالكثير مما يعد أصلا صحيحا ومصدرا قويا لبناء الشخصية المسلمة . وكما كشف هذا التراث واتضحت معالنه . وأصبح حيا في ضمير الأفراد كلما استطاع الأفراد أن يتوافقوا مع حياتهم المعيشية .

ولا شك أن الفرد - أى فرد - تتناسب قدرته على المعيشة الناجحة في جماعته مع القدر الذى يحصله من ثقافته . والسبب في هذا أن الجماعة ليست في حقيقتها - عندما ننظر اليها بمنظار التربية - ليست الأفراد الذين يكونونها . وليست الأجيال المتعاقبة عن هؤلاء الأفراد . وانما تكمن حقيقة الجماعة في الثقافة التى تتوارثها الأجيال المتعاقبة .

ومن هنا فالأفراد يذوبون في كل جماعة . وتبقى الثقافة . فهى لا تذوب أبدا لأنها واجهة الجماعة ومرآتها . لذلك فان من وظائف التربية أنها تعد الجماعة ؛ بنشر ثقافتها بين الأفراد . فهى تربط الفرد بالجماعة . وتمكنه من أن يتقن ثقافة هذه الجماعة ويتصرف في مواقف حياة هذه الجماعة وفقا للقيم والمثل العليا التى تعتنقها تلك الجماعة .

(١) القصص : ٧٧

وإذا كانت التربية تولى وجهها شطر الجماعة . فإنها بلا شك تنصب أيضا على الثقافة . فالتربية تهدف الى اكساب الثقافة ، وليس لها من معيار للحكم على نجاحها سوى قدرتها على تملك تلك الثقافة للأفراد ، وليس التربية من وسيلة سوى أن تجعل الثقافة مادة لنشاطها .

من هذا المنطلق وفي تلك المعايير : استهدف الغزو الثقافي المجتمع الاسلامي . حين جعل ثقافته مادة يدور حولها نشاطه الفكري والاعلامي والتربوي بغرض التشكيك في صلاحية المنهج الاسلامي كنموذج صالح للمجتمع ؛ فركز على نشر ثقافته الوافدة عبر الاعلام الهادف ، كما استقطب البعض من المثقفين المسلمين ، واستخدمه كعوامل للهدم ، واستغل كذلك عناصر الضعف المادية ؛ كسلاح لجذب الكثير لاعتناق الفكر الوافد ؛ كما لم يتورع في بث فكره ضمن مناهج التعليم في البلاد الاسلامية .

والغزو الثقافي للمجتمع الاسلامي ينشأ من وراء تلك الحملة اهمال الشريعة الاسلامية في أكثر بلاد الاسلام ، والاكتفاء بها كإطار نظري دون تطبيق عملي لمقوماتها . كما يهدف هذا الغزو الى مسخ الشخصية الاسلامية في أكثر بلاد الاسلام ، كما لم يتورع في اثاره العصبية والعرقية بين شعوب الاسلام . وأيضا شيوع وانتشار المذاهب المناهضة للدين ، كما يهدف كذلك الى توزيع ولاء الأمة الاسلامية لأى من القوى الكبرى في العالم .

وليس هناك من وسيلة قوية ، لاعتناق الفكر الثقافي الوافد ؛ أكثر تأثيرا في الأفراد من بث هذه الثقافة في شكل خدمات محسوسة ، يلمسها الأفراد وتشعر بها الجماعات ؛ لذلك كثرت الارساليات في أشكالها المختلفة والمتعددة ؛ مثل المدارس والمستشفيات ، ودور رعاية الأطفال الفقراء ؛ ومراكز ثقافية متعددة ؛ ناهيك عن غزو الأسواق بوسائل متعددة خاصة باستقطاب المرأة .

ونظرة فاحصة في فكرنا الاسلامي ترينا أن الاسلام قادر بمقوماته الأصلية ؛ ومصادره الصحيحة الواضحة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وفي الاجماع والاجتهاد ؛ أقول ان الاسلام قادر بتلك المقومات أن يبنى الفرد المسلم والمجتمع المسلم .

وحين يهتم الاسلام بتربية الفرد المسلم ، فإنه يقيم تلك التربية بما يتيح للفرد من نصوص في العقيدة ومن هدى للنبي صلى الله عليه

وسلم ومن خبرت تحيط به : يكتسب من خلالها مواقف في الحياة تهديه الى اقوم السبل . وتساعده على هضم ثقافته الاسلامية . لأن الفرد لا يستطيع أن ينمو نموا حقيقيا . الا اذا استطاع أن يواجه بيئته الطبيعية والاجتماعية وأن يتفاعل معهما في ظل تلك الثقافة الاسلامية التي اهتدى اليها .

والفرد المسلم يستفيد من الخبرات التي تواجهه في مواقف الحياة اليومية على أرض و بين لناس . لأن الثقافة لأية جماعة م هي الا خبرات تراكمية .

وعموما فان تربية الفرد وتحقيق نموه لن يكون الا بأدوات الثقافة التي تقرها وتعترف بها عقيدة تلك الجماعة .

ومن هنا فالتربية الاسلامية تتحمل مسؤولية تمكين الانسان المسلم من ثقافة اسلامية صحيحة . لأن الفرد المسلم اذا تعرض لتربية لم تعطه كل ثقافة مجتمعه . أو أعطته صورة خاطئة من هذه الثقافة . أو تعرض لأن يتربى وينمو بوسيلة ثقافية لجماعة أخرى . فان ذلك ينعكس على الفرد وعلى الجماعة وعلى التربية في المقام الأول .

وحيث لا يتمكّن من مواكبة المعيشة في حياته . بالقدر الذي انخرقت به مدة التربية عن مادة ثقافة مجتمعه . فحيثما نظرنا الى التربية من ناحية الفرد أو من ناحية الجماعة : فاننا نجد الصلة المباشرة القوية بين التربية وبين الثقافة .

وكشف هذه الصلة ، وايضاح مفاهيم الثقافة ، هو بلا شك من الوسائل المعينة على مواجهة الغزو الثقافي للمجتمع الاسلامي .

وحتى يبرز هذا الايضاح ، فلا بد من قيام المؤسسات التربوية بأداء دورها في هذا المجال .

ولا شك أن الأسرة والمدرسة ووسائل الاعلام كلها مؤسسات لها قدرتها في بث الفكر الاسلامي والثقافة الاسلامية في نفوس المجتمعات الاسلامية .

* * *

الأسرة المسلمة .. ودورها التربوي في مواجهة الغزو الثقافي

تعد الأسرة المسلمة اللبنة الأولى في تربية الفرد المسلم . فالطفل يفتح عينيه على الأسرة منذ اللحظة الأولى لميلاده . وتأثيرها عليه يلعب دورا كبيرا في توجيهه وتكوينه . وبالفرد الذي تقدمه الأسرة لنطفل من مميزات تربوية بقدر ما يتكون ويواجه المجتمع .

ولا شك ان استعداد الأبوين لبذل انجهد التربوي . واضفاء القدر المناسب لتنمية الطفل له ابلغ الأثر في تشكيته وتنميته . غالباً والأم هما حجر الزاوية . الذي عليه يمكن ان نشيد صرح التربية الأسرية بالمنهج الصحيح . بمعنى أن الطفل من صنع والديه . ونبت تربيتها . واذا أحسن العرس . حسن الثمر . وكانت النتيجة فردا صحيحا نفسيا وخلقيا واجتماعيا وروحيا وجماليا .. الخ . قال تعالى : **« والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه ، والذي خبث لا يخرج الا نكدا »** (١) .

ولا ننكر أن دور الأسرة ، يواجه بكثير من التيارات التي تعرقل السير في المنهج الصحيح للتربية الاسلامية . بيدو ذلك في اقتحام أجهزة الاعلام من مكتوبة ومسموعة ومرئية للطفل . مما يشككه في كثير من القيم التي ترسخت لديه . وتكونت عنده . الأمر الذي يجعله يتذبذب بين قيم وتقاليد استقاها من الأسرة . وبين ثقافة جديدة . اقتحمت عليه فكره وعقله لا يحسن أى الطرق يسلك . ولا أى المناهج يعتنق .

من هنا بدت المسؤولية الملقاة على عاتق الأسرة . وغدا الطفل في أمس الحاجة الى وضوح في الرؤيا . وتحديد لمعالم الطريق . حتى يتخلص من هذا الغزو الفكرى المشبوه ، والملوث بالتيارات الهدامة ، والفكر المختلط .

(١) الاعراف : ٥٨

وحتى تحسن الأسرة مقاومة التيارات ، فان عليها أن تعيد النظر في أساليبها التربوية ، وتتعرف على حاجيات الطفل النفسية والاجتماعية . فلا تترك الفكر الملوث ينخر في قلبه وعقله . بل عليها أن توفق بين قيمها الدينية وأساليب التنشئة الحديثة . بحيث لا يقع الطفل بين شقى الرحى ويتوه في الطريق . ويتبعثر جهد الأسرة . ويصبح المستقبل لنطفال رهنا للمصادفات والأهواء .

وإذا كانت الأسرة يتحتم عليها دائما وأبدا أن تضع مقومات تصون بها الصغار من الوقوع فريسة لتيارات هدامة . إذا كان ذلك واجبا ، فانه يصبح واجب إذا بات وشيكا توجيه البرامج التليفزيونية مباشرة من البلاد المتقدمة الى شتى أنحاء العالم . ويعدو الطفل هدفا لتلك البرامج خصوصا إذا لم تكن هناك معاناة في الاستقبال والمساهمة سوى فتح الأجهزة لأي بث موجه من أية دولة شرقية كانت أم غربية . ووقتها يكون لتليفزيون — مثل أجهزة الراديو — ينقل الفكر . ويعزو العقول في كل أرض وفي كل مكان وفي كل منزل (٣) .

حينئذ سيواجه الآباء بمشاكل لا أول لها ولا آخر . ويصبحون غير قادرين على مواجهة تلك المشاكل أو الحد منها .

ويكمن خطر الغزو الثقافي على أطفالنا في الأمور التالية :

١ — التعرض للامحدود لهذا الغزو بالكلمة المكتوبة ، والآراء المسموعة ، والفكرة المصورة ، والتقاليد الفاضحة الممقوتة ، وذلك أن كثيرا من الروايات المسمومة تملأ الأسواق العالمية وتتسلل خفية في الظلام الى مجتمعاتنا الاسلامية وهي مليئة بالقصص البوليسية والعاطفية والعدوانية . الخ . وطالما لا يجد الطفل المسلم ما يملأ فراغ وقته بالمفيد والجذاب والمبدع ، طالما لا يتوفر بين يديه ذلك ، فهو نهب شئنا أم أبينا لذلك الفكر .

أما الآراء المسموعة ، فلا مناص من الاعتراف أن البث الاذاعي من بقاع الأرض ، يسلط كثيرا من برامجه — ليس فقط بلغته الأجنبية — بل في كثير من الأحيان بلغته العربية خلال موجاته الموجهة . وكثير من تلك البرامج مملوء بالسموم التي يقع الأطفال ضحية لها . حيث تهتر

(٢) محاضرة معالي وزير الاعلام الدكتور محمد عبده يمانى عن « أقمهار الفضاء : غزو ثقافى واستعمار جديد » بتاريخ ٢ صفر سنة ١٤٠٣ هـ في قاعة المحاضرات بجامعة أم القرى — مكة المكرمة .

قيمهم وبتوه امامهم الحقائق حول كثير من القضايا ، خصوصا اذا فقدوا برامج محلية بديلة ، تشبع عندهم هذا انتطلع . وتصحح لهم كثيرا من المفاهيم الخاطئة . ناهيك عن شرائط التسجيل المجانية والمלוوة غناء وطربا وموسيقى بها هوس وجنون ، ينبهر بها الفتيان والفتيات ويقعون فريسة لها وضحية لتدنيها .

أما الفكر المصور . فبالرغم من حاجة الطفل انيه في تفتيق ذهنه وتوقد قريحته . الا اننا ما زلنا في حاجة الى تنقيح كثير منه . من الخيالات الالامحدودة . وعدم العقلانية في كثير من مواقفه . الامر الذي يربك الطفل ويضعه امام تساؤلات عدة لا يجد لها اجابه ثماغية . وينارجح بين المعقولات والمحسوسات بل وربما يزداد ثق في قدرة الانسان الى أبعد مما تحتمله قدراته البشرية .

أما استقالييد الفاضحة . فتركز في سفور المرأة في بعض المجتمعات ووسائل زينتها التي فاقت الوصف في الخروج عن آداب الاسلام وتعانيم الدين . الامر الذي يهون على الفتاة المسمة قيمة الحجاب . ويجعلها ترنو الى مجارة المدنية المظخه بدماء الرذيلة والفساد .

ولا يقتصر التقليد على ذلك فهو مائل اماننا في مضامين حياتية يومية . نلمحه في حفلاتنا . نلمحه في جلساتنا . نلمحه في علاقاتنا . نلمحه في تصرفاتنا . مما يترك بصماته المؤكدة في ذهن الشباب والأطفال وينعكس ذلك على الحياة المستقبلية للفتيان والفتيات .

٢ - عدم الملاحظة أو المراقبة على قراءة أو سماع أو مشاهدة هذا الفكر الوافد . وعدم الحجر أو التوجيه ازاء ذلك التقليد الأعمى . أو بمعنى آخر تخلت أسر كثيرة عن مسؤوليتها لمواجهة هذا الغزو الثقافي . فتركت الحبل على الغارب أملا في التمشي مع ظاهر تلك الحضارة الغربية ، وما هي كذلك في قليل أو كثير ، كما انشغلت أسر كثيرة بشئون أخرى قد تكون مادية أو غيرها . وترك الأبناء والبنات نهبا لهذا الداء الدفين الخبيث الذي يسرى في الجسم سريان الدم الملوث في دم الكائن البشرى .

٣ - غدا الأطفال وقد فقدوا في الأسرة أسلوب الصدق في القول والاخلاص في العمل والقذوة الصالحة بالمثل . ولم يعد للصدق من قيمة عند الطفل الا ألفاظا جوفاء يحفظها من كتاب ، كما بات الاخلاص في العمل قصة تحكى وأضحت القذوة الصالحة تراثا يتلى . من هنا جاء الانفصال بين النظر والتطبيق ، والفكر والعمل ، بينما

يقرن رب العزة جل وعلا في كثير من آيات القرآن الكريم 'اليمان بالعمل' . قال تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (٣) .

وقال سبحانه وتعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » (٤) .

وبناء على ذلك انتهز أعداء الإسلام . ذلك الموقف وبدأوا يشككون في كفاءة الإسلام على مواجهة الحياة العصرية . مما جرف الكثير من الشباب والفتيات - على اقل تقدير - في اهتزاز فكرهم وتبعثر قيمهم الاصلية .

٤ - كما يكمن خطر الغزو أيض . في عدم وجود البدائل التي تنطلق من منطلقات سلاميه . نتعوض نطفل هذا الفكر بوافد .

ولو وعينا ذلك وابتكرنا الاساليب السليمة في ممارسة ارياضة بأنواعها المختلفة ، والثقافة بقنواتها المتعددة بحيث نواكب الفكر الحديث بمنهج اسلامي . لو وعينا ذلك نقضينا على الكثير مما نعانيه في عالم اليوم ؛ ولاستطاعت الأسرة أن تأمن عاقبه هذه المفجوة الخطيرة في آساليب التربية .

ومن هنا يمكن أن نقول : ان المشكلة قائمة . والتيار جارف . والأمر جد خطير ، يحتاج الى العلاج الأمثل الذي يقتلع الداء من جذوره . وفي نفس الوقت علينا أن لا ننظر واهمين أننا نستطيع أن نخلق على الطفل نوافذ الثقافة دون وجود بدائل عنها . أو نوجه الأسرة نتتحذ مواقف أكثر شدة وقسوة وغلظة وخشونة ازاء معاملة الطفل . دون أن نضع لها التقييم الصحيح لكيفية اشباع حاجيات الطفل النفسية والاجتماعية والروحية والبدنية . خصوصا في هذا العصر الذي تراحت فيه منافذ الثقافة . وصار عبثا محاولة التعمية على الطفل ازاء هذه الثقافات . اللهم الا في ظل البدائل المبدعة التي توجه الطفل من منطلقات اسلامية .



(٤) الكهف : ١٠٧

(٣) الكهف : ٣٠

* أما أساليب العلاج ، فيمكن أن نوجزها في الأمور التالية :

١ - الاعتصام بالدين صمام الأمان في مواجهة هذا الغزو :

ذلك أن الأسرة إذا نجحت في تربيته الصقل بمنهج إسلامي . وإذا احتضن الصغر الإسلام قولا وعملا . فصار دما يبرى في عروقه . وروحا ترتشفه نفسيته . حينئذ يمكن القول : أنه لا خوف على الطفل المسلم . حتى ولو منبت فجاج الأرض مكرا محتلطا وأهدافا هدامة وقيما ملوثة ، طالما حققنا كلمه الله في الأرض . ونفذنا الهدف الصحيح من استخلافه إيانا . بالمنهج المستقيم والإسلوب السليم .

ولا غرابه في ذلك . فالتربيته في مراحل التكوين الأولى من حياة الطفل تعب دورا هاما رئيسيا في توجيهه . وقد نندهش حين نلمح أن أسرا عديدة . عاشت وتعيش . وسط البلاد العربية . ومع ذلك فإنها نجحت — الى حد ما — في مقاومة هذا الغزو . فلفظت فكره ورفضته ، لا لشيء سوى أنه أضحى مبتذلا وممفوتا في نظر الآباء وانسحب ذلك على الإبناء فصار مهينا في نظرهم . مكروها لدى فكرهم .

وكثير ممن تلقوا تعليمهم داخل أروقه الجامعات الغربية . صاروا من أكثر خصوم الفكر الغربى . والمهاجمين لأساليبه الهدامة . ولا شك أن الاعتصام بالدين الإسلامى وتقاليده السامية هو صمام الأمان لهذا الاتجاه المحمود ، خصوصا إذا تكون في السنوات الأولى من حياة الطفل .

٢ - التطبيق السليم للتربية :

ذلك أن الإسلام بكل مقوماته كئيل — إذا أحسن تطبيقه — أن يحمى الطفل من كل تلك الأفكار الهدامة . غير أنه قد يحلو للبعض الادعاء أن طفل المجتمعات المتقدمة . ونظم تربية الأسرة الغربية ، تنتج طفلا أكثر تحررا ، وأكمل صحة . وأغزر انتاجا . وربما تبدو تلك حقيقة تلوح في الأفق . ولكنها في واقع الأمر سراب يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . ذلك أن المرائى تكشف نقيض ذلك في كثير من الأحيان . فظواهر العدوان والعدر والتمرد واللامبالاة ، والهروب من الواقع كدما سمات اتصف بها كثير من الأطفال في البلاد المتقدمة . وما ذلك الا دليل على اخفاق تلك الأساليب التربوية الحديثة ، وعجزها عن انتاج الشخصية المتزنة المتناسقة ، بصرف النظر عن مظاهر

الترف والبهرجة وأساليب الحياة العصرية . لأن ذلك كله يذوب أمام الفساد الذى استشرى . والقيم الروحية التى اهترت أو كادت . والتقاليد التى امنت . هذا مع اعترافنا فى نفس الوقت بوجود هذه الظفرة الهائلة من لتقدم الاقتصادية والصناعى .
 ولا نجانب الصواب حينما نؤكد أن فى الاسلام مبادئ
 لو استخدمت بالشكل المناسب لحمت الطفل المسلم من تلك المزالق .
 ولكفته الوقوع فى الهاوية . ولحصنته من تلك التيارات الهدامة والفكر
 الملوث .

٣ - البناء الصحيح للأسرة المسلمة :

حيث حث الاسلام آباء المستقبل أن يتخيروا الزوجة اسليمة من
 الامراض الخفية و النفسية والاجتماعية على ان تكون ذات خلق ودين .
 وأن تكون ولودا ودودا . ان نظر اليها زوجها سرته . وان أمرها أضاعته .
 وان غاب عنها حفظته .

وحيث يطلب الاسلام ذلك فى بناء الأسرة . فانه يؤكد أن : العقل
 السليم فى الجسم السليم . روى ابن ماجه والديلمى عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس »
 وروى ابن ماجه والدارقطنى والحاكم . عن عائشة رضى الله عنها
 مرفوعا : « تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء » .

ولم يكن هناك من معيار لاختيار الزوجة سوى المنبت الحسن
 والخلق الحسن . روى الدارقطنى والعسكرى . وابن عدى عن أبى سعيد
 الخدرى مرفوعا : « اياكم وخضراء الدمن » قالوا : وما خضراء الدمن
 يا رسول الله ؟ قال : « المرأة الحسناء فى المنبت أسوء » وانطلاقا من
 هذا المبدأ أوصى عثمان بن أبى العاصى الثقفى أولاده فى تخير النطف .
 وتجنب عرق أسوء . حيث قال لهم : « يا بنى . . الناكح مغترس .
 فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه . ولعرق فى أسوء قلما ينبج فتخيروا
 ولو بعد حين » (٥) . ولا غرو فان الأطفال هم ثمرة يعود أصلها الى
 طبيعة الآباء والأمهات . والتكوين السليم من البداية . يتبعه بالضرورة
 نبت حسن وخلق حسن .

(٥) عبد الله علوان . تربية الأولاد فى الاسلام . دار السلام للطباعة
 والنشر والتوزيع . حلب . بيروت ، ج ١ ، ص ٢٧ . ٢٨

روى الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » •

وأى فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة بين برائثن خاطب متحلل أو زوج ملحد لا يراقب الله تعالى ، ولا يمتثل بأوامره ، ولا يقيم لشرف ولا للغيرة وزنا • وأى فتنة أكبر من فتاة تصبح زوجة لرجل فاسق يجبرها على السفور والاختلاط وارتكاب المحرمات من شرب للخمر ••• الخ^(٦) •

وكم يصبح مؤسفاً أن ينشأ أطفالنا — رجال المستقبل — وسط هذه البيئة المتحللة الماجنة الآثمة • فماذا نتوقع من أطفالنا والحال كذلك ؟

٤ — أثر الكلمة فى الأسرة :

لكلمة قيمة أساسية فى الأسرة ، فبها ومنها التوجيه الصحيح « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء • تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون »^(٧) بالكلمة تستطيع الأسرة أن تبني الضمير الخلقى لدى الطفل ، الضمير الذى لا يحمى ولا ينحرف ، ولا يهين ولا يلين أمام قوى البغى والفساد •

بالكلمة تستطيع الأسرة أن تجرد الفكر الوافد من أوهام الحقيقة ، وتعريه من مظهرية الصواب •
بالكلمة تستطيع الأسرة أن تراقب وتلاحظ تحركات الأطفال فتعدل سلوكهم اذا انحرفوا ، وتوجههم اذا ضلوا الصواب أو حادوا عن الجادة •

بالكلمة نحقق منهج الاسلام فى أساليب عقاب الطفل المذنب واثابة المطيع المجد •

ولا شك أن بالكلمة ، يمكن أن نفتت الصخر ، ونلين القلوب القاسية وكلما منح الآباء حكمة فى القول ، وسدادا فى رأى ، وتطبيقا سليما فى العمل ، كلما توقعنا أطفالا ناجحين ، على المحن صابرين ، لكيد الأعداء صامدين ، وللخطر الملوث نابذين ورافضين •

(٧) ابراهيم : ٢٤ ، ٢٥

(٦) المرجع السابق ص ٣٥ ، ٣٦

٥ - البدائل :

وحتى يكون لنكلمة وقع عند الأطفال . وحتى يمكن ان يستجيبوا لها . فلا مندوحة من توفير البدائل في مواجهة تلك الأساليب الوافدة والبدائل نكمن في الكلمة المقروءة بين ثنايا الكتب المشوقة الجذبه . المنوثة بانفكر الساضج ولأسلوب السديد .

البدائل في برامج المرئية والمسموعة . المنطقه من منهج اسلامى يعين على تكوين الشخصيه المتكمله المتزنه انقدئية . البدائل الكامنه فى قيمنا الدينيه الأصليه وتقاليدنا لاجتماعيه على أن تتضمن البدائل اجادة وتحسين سبل أدائها بشكل محبب وأسلوب مبهر .

البدائل الكامنه فى استحدثت برامج رياضيه بمنهج يهدف الى بناء الجسم الصحيح السليم . الخالى من الأمراض النفسية والبدنية والوجدانية والعاظنيه والجمائيه والروحيه . وهكذا وبتلك الأساليب فى العلاج يمكن أن نملا فراغ الطفل فى مواجهه هذا الغزو الثقافى . . وقتها نستطيع نقول : انه لا خوف على الأجيال القادمه ولا على أطفال الحاضر من ذلك الغزو الوافد . حتى ولو ملئت فجاج الأرض فكرا مختلما وأهدافا هدامه وقيما مشبوهه « ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم » (٨) .



(٨) الروم : ٥٤ ، ٥

المسجد ٠٠ ودوره التربوي في العصر الحديث

درج الناس على مدى التاريخ الضويل للحضارة الانسانية ؛ أن يستندوا الى التربية في توجيه حياتهم . بحيث تصبح هذه التربية طاقة وقوة دافعة للحضارة الانسانية . ترتبط بمشكلات الفرد والجماعة . ويرى المجتمع فيها نفسه ويؤكد فيها ذاته .

والتربية الحقيقية هي التي تؤدي دورها في بناء المجتمع . ولن يتحقق ذلك الا بنوع معين من التربية . تنطلق فيه طاقات الأفراد . وتستثمر فيه قدراتهم . ويكونون بذلك قادرين بما لديهم من مهارات وقيم وفكر على أن يحولوا كل ما لدى المجتمع من موارد بيئية الى ذاقات تكون في خدمة الانسان .

واذا صح أن أول مدرسة اسلامية ظهرت في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري — كما يشير الى ذلك د. سعيد اسماعيل في كتابه « معاهد التعليم الاسلامي » وان كان لم يحدد أية المدارس أسبق في الظهور ؛ هل المدرسة الصادرية (٣٩١ هـ) في دمشق . أم مدرسة ابن فورك (٤٠٦ هـ) . وسواء أكان هذا أم ذلك . فالهمم أن الربع الأخير من القرن الرابع الهجري شهد ميلاد أول مدرسة اسلامية ؛ وان كان بعض المؤرخين قد روج لفكرة تقول : ان نظام الملك الوزير السلجوقي هو أول من بنى المدارس في العصور الاسلامية ؛ فقد أنشأ المدرسة النظامية ببغداد عام ٤٥٧ هـ ؛ وان كان الكثير من الكتابات يؤيد أنها ظهرت في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري كما ذكر ذلك د. سعيد اسماعيل في كتابه سالف الذكر .

أقول فاذا صح ذلك فمؤداه أن المسجد حتى هذا التاريخ كان هو المؤسسة التربوية الوحيدة ؛ الذي نيبت به مسؤولية التربية الكاملة بجميع جوانبها العقلية والبدنية والاجتماعية والروحية والأخلاقية . وان كان هذا لا يعنى أنه بعد هذا التاريخ وحتى الآن . قد نقص دور المسجد وانما ما نعنيه هو أن المسجد في تلك الفترة — قبل انشاء المدرسة — قد حقق الأهداف التربوية المنشودة ، وأدى دوره بنجاح في غيبة المدرسة وقبل نشأتها .

ومع التطور الزمني والمحن التي اجتاحت العالم الاسلامي ،
استحدثت معونات حدثت من أداء المسجد لدوره التربوي ، مما استدعى
بالضرورة تحسس أساليب وأنماط تربوية للمسجد تتناسب مع متغيرات
العصر الحديث وتستمد من تيمم الاسلام ومقوماته .
وستتناول ثلاث نقاط رئيسية في هذا الموضوع :

- ١ — المنظور التاريخي للدور التربوي للمسجد .
- ٢ — المسجد وظروفه الراهنة .
- ٣ — نمط الدور التربوي للمسجد في العصر الحديث .

أولا — المنظور التاريخي :

* انتشار بناء المساجد :

يعتبر المسجد الحرام بمكة أول بيت وضع للناس ، قال تعالى :

« ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » (١) .

ويليه في المنزلة المسجد الأقصى . قال تعالى : « سبحان الذي
أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا
حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير » (٢) .

كما يعد مسجد قباء أول ما بنى من المساجد في الاسلام ويحتل
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة مكانة عالية ، فاليه
تتشد الرحال .

وتوالى بعد ذلك الانشاءات للمساجد في كل مدينة . وفي كل
بقعة من أرض الاسلام والتي تشرفت بأن انتشر فيها الاسلام ، غفى
مصر بنى الجامع الأزهر عام ٣٥٨ هـ ، كما كان قد أنشئ مسجد أحمد
ابن طولون بالقاهرة (الفسطاط) عام ٢٦٥ هـ ، وفي دمشق أنشئ الجامع
الأموي وتم بناؤه عام ٩٦ هـ ، وفي بغداد أنشأ الخليفة العباسي
أبو جعفر المنصور جامع المنصور عام ١٤٥ هـ . وفي عام ٥٠ هـ بنى
عقبة بن نافع جامع القيروان . وفي تونس أنشئ جامع الزيتونة عام
١١٤ هـ ، وكان قد بناه عبد الله بن الحبحاب ، وفي قرطبة أنشئ جامع
قرطبة عام ١٧٠ هـ ، بناه عبد الرحمن الداخل . وغير ذلك من المساجد
التي عمت المشرق والمغرب ، وكانت مضرِب الأمثال في الاثراء العلمي
والفكري والتربوي ، فقد أنيط بتلك المساجد مهام جسام شملت كثيرا

(٢) الاسراء : ١

(١) آل عمران : ٩٦

من مقومات الحياة الحرة الكريمة • فلم تكن تلك المساجد قاصرة فقط على الجانب الروحي ، بل اتسعت لتشمل التربية والتعليم ، ففي المسجد الحرام بمكة تخرج فطاحل الفقهاء والمحدثين منهم الامام الشافعي الذي تعلم وأفتى وجلس للتدريس بالحرم المكي ثم ارتحل الى العراق وكتب فيها مذهبه ثم ارتحل مرة أخرى الى مصر وكتب فيها مذهبه الجديد • وكان هذا العلم الغزير للشافعي نتيجة للدور الذي أداه المسجد الحرام في التكوين العلمى للشافعي •

✽ اتساع دور المسجد في الاسلام :

ولم يقتصر دور المسجد الحرام على علوم الفقه والشريعة بل اتسع ليشمل علوم الحديث واللغة من نحو وصرف وبلاغة • ولن ننسى الدور الذي قام به فحول العلماء بالمسجد الحرام حينما تمكنوا — على مدى التاريخ الطويل — من القيام بالاجابة عن الكثير من الأسئلة التي كانت تفد من كل صوب وحذب تستفسر عن الكثير من أحكام الدين والشريعة الاسلامية •

وفي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة جلس النبي صلى الله عليه وسلم معلما أصحابه أمور الدين • وشارحا قواعد الاسلام بأسلوب النبي المعلم ، بالاضافة الى أن هذا المسجد كان مكانا لاستقبال الوفود واستنفاة الجيوش ، وعقد المعاهدات ، وجمع الزكاة ، الأمر الذي جعل من المسجد مجمعا لجميع مصالح المسلمين بالاضافة الى الهدف الأسمى للمسجد وهو العبادة وبناء الجانب الروحي للفرد المسلم • وفي هذا المسجد تخرج جهاذة الفكر وعظماء المسلمين ومنهم عروة بن الزبير بن العوام وسعيد بن المسيب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وغيرهم كثير وكثير •

وفي الجامع الأزهر كثرت حلقات الدرس ، وشملت علوم الدين واللغة والتي تطورت فيما بعد حتى أصبح هذا المسجد نواة لأعرق جامعة اسلامية •

وفي المسجد الأموي بدمشق التقى الكثير من طلاب العلم من بلاد الشام ينهلون من الفقهاء والذين جلسوا للتدريس بهذا الجامع الشهير كما أن الامام الغزالي كان قد اعتكف في احدى صوامع هذا المسجد وعرف مكانه هذا بالغزالية وما زال بهذه التسمية حتى الآن ، ولقد شمل التعليم بهذا المسجد علوم التفسير والحديث واللغة ، وكان ابن مالك أحد فطاحل علماء اللغة الذين كانت لهم حلقة بهذا المسجد •

كما اشتهر مسجد المنصور ببغداد بكثرة طلابه الذين توافدوا من
أجل طب العلم على فضايل العلماء ومنهم الكسائي الذي يقرأ علوم
اللغة .

✽ دور مساجد شمال أفريقيا الرائد :

ولم يكن حظ مساجد القيروان والزيتونة وقرطبة وغيرها بأقل
حظاً من غيرها . فلقد أدت المساجد دوراً رئيسياً في الحفاظ على التراث
الاسلامى . وبناء الأجيال المؤمنة التى استطاعت بايمان الرجال وعزم
المسلم الذى لا يلين أن تشيد صرح الاسلام وأن تقيم الدولة الاسلامية
قوية عزيزة . مبيية الجنب يخشها أعداؤها . ويرهبها كل من يحاول
النيل منها . ولم تكن تلك الأجيال قد تخرجت في جامعة . بل كانت
الجامعة والتربية والبناء كنه داخل بيت الله ، داخل المسجد الذى كان
ملتقى للفكر ومكانا للدرس . وصدق الله العظيم اذ يقول : « **انما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة
ولم يخش الا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** » (٣) .

وقال تعالى : « **قل أمر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل
مسجد وادعوه مخلصين له الدين ، كما بدأكم تهودون** » (٤) .

وكأننا بهذه الآيات امام هدف أسمى للمسجد هو التوحيد والوحدة ،
وتوحيد الله . والوحدة الايمانية التى تنعكس على المسلمين ، وهم على
قلب رجل واحد . يتجهون الى الله في وقت واحد . وصف واحد . وموقف
واحد ، امام رب واحد : الكل أمامه واحد ، لا فضل لأحد على أحد
فالدين عام وشامل . والرب حاكم وعادل .

وهكذا نلمح الصبغة الروحية التى يكتنفها المسجد : ويتنسم رحيقها
المسلم كل يوم خمس مرات .

ولا شك أن هذا الزاد الروحي ، حين يلقي نسماته على المسلم
يزيح من وجهه كل كوابيس الأرض : وينزع عنه لباس الخوف والفرع ،
ويصبح المسلم في مأمن لأنه مع الله « **فادعوا الله مخلصين له الدين
ولو كره الكافرون** » (٥) .

(٣) النوبة : ١٨ — وانظر : د. سعيد اسماعيل على ، معاهد التعليم

الاسلامى ، دار لثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٩٦ — ١٢٢

(٥) غافر : ١٤

(٤) الاعرف : ٢٩

هذه اللمسات الروحية . بالاضافة الى الجوانب التربوية الأخرى التي سبق الحديث عنها . تقلصت أو كادت مع مرور الزمن ومع ظهور بدائل أو وسائط تربوية جديدة . أدت الى ظهور معوقات حدثت من أداء المسجد لدوره التربوي .

* * *

ثانياً - المسجد وظروفه الراهنة :

* أسباب تقلص دور المسجد الرائد :

ربما كان من أسباب تقلص دور المسجد التربوي ، ظهور المدرسة الإسلامية التي تمكنت من دراسة العلوم التجريبية والتي تحتاج الى معامل خاصة ونظام معين قد لا يتسع له المسجد . وتألفت الوسائط التربوية بمؤسساتها المختلفة ، والتي تمثلت في المدرسة والجامعة ووسائل الاعلام من صحافة واذاعة وتلفاز ، الأمر الذي أوجد الكثير من نواخذ المعرفة . والتي أطلت على الإنسانية بكثير من الفكر المستورد . والتيارات المنحرفة والتي لا تتناسب مع مفاهيم الفكر الإسلامي والتربية الإسلامية في كثير منها ، ومن هذا المنطلق ، وعن طريق تلك الوسائط التربوية الحديثة والتي جاءت في معظمها على نهج غير إسلامي ، سادها التقليد السافر للفكر الغربي فيما يتعلق بالكثير من الأنماط التربوية وبتنا وأصبحنا وقد اختفى الكثير من القيم الإسلامية الخلاقة . والأسس التربوية السلمية في المنزل والشارع وأماكن العمل . وازمحل بالتالي الدور التربوي للمسجد ، خصوصاً في ظل الاعداد المتواضع للدعاة والخطباء في المساجد ، الأمر الذي ترتب عليه انصراف الكثير من المسلمين عن المسجد ، أو بالأحرى عدم تعليق الكثير من الآمال التربوية على المسجد .

* آثار انحسار دور المسجد القيادي :

وبهذا الشكل اقتصرت وظيفة المسجد الآن في كثير من بلاد الإسلام على تأدية أنصوات . واعطاء بعض دروس الوعظ التي تأتي في تكبير منتشره وعير هادفة او مترابطة . وكان من ثمره ذلك أن انتشرت كثير من العادات السيئة ، والمستجلبه من وسائل الاعلام الحديثة . فانطمت قيم أخلاقية كثيرة . وسادت صفات أخرى ذميمة وممقوتة . ولا شك أن هناك صيحة تلو الآن تنسادي بأن يعود للمسجد الدور القيادي

التربوي . وقد تنجح هذه الاجتهادات أحيانا . خصوصا مع توفر
الامكانيات وصدق النية لله رب العالمين . ولكن لا يخلو الامر من الحاجة
ببذل المزيد من الجهد للتعرف على كيفية استعادة المسجد لدوره
تربوي في العصر الحديث .

* * *

ثالثا — أسلوب ونحط الدور التربوي للمسجد في العصر الحديث :
حتى يعود للمسجد دوره الرائد :

تسعى لتربية دائما الى تحقيق النمو الكامل والمستمر للفرد .
ليشمل الجانب ابدني والاجتماعي والخلقي والثقافي ، وحتى يستعيد
المسجد دوره ازاء هذه الغايات فلا بد من توفر العناصر التالية :

وضوح الأهداف التربوية للمسجد في فكر الأئمة والخطباء
للمساجد وهذه الأهداف لا بد أن تنطلق من منطلقات اسلامية ، وتعتمد
على فكر اسلامي مستمد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم . قال تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه
يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والأبصار . فيجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله
يرزق من يشاء بغير حساب » (١) . وتتلخص أهداف المسجد التربوية في :

(أ) اعداد الفرد المسلم الصحيح البدن الجيد الخلق السليم
لقب المثقف بالفكر الاسلامي الخالص والمتسم بانكمال الانساني .

(ب) بنية المسجد ورسمه وتخطيطه يجب أن تنهج منهاجا جديدا .
يغطي احتياجات بناء الفرد المسلم ومن هنا يجب أن يعد المسجد في
صورته الجديدة ليكون مؤسسة اسلامية تضم قاعة كبيرة للمطالعة .
مزودة بالكثير من الكتب الاسلامية والاجتماعية والثقافية لتغطي الكثير
من احتياجات الفرد المسلم . كما تضم تلك المؤسسة قاعة كبيرة تمارس
فيها الأنشطة الرياضية للشباب على اختلاف أنواعها بحيث يمكن بناء
المسلم الصحيح البدن ، في ظل الرعاية السليمة الموجهة .

وبهذا نضمن اقبال انشباب على المؤسسة الاسلامية — المسجد —
وقضاء معظم الوقت بداخلها ، مما يؤدي الى وجود خط موازي للوسائط

انتربوية الأخرى . والتي بها الكثير من الخلط والتشويش على عقول
الشباب .

وبالطبع فالمؤسسة - المسجد - يجب أن تتم فيها اللقاءات
والندوات التربوية والاجتماعية في المناسبات المختلفة .

(ج) التمويل الكافي للمسجد في صورته الجديدة . وذلك حتى
يمكن تحقيق الأهداف سالفة الذكر ، ويا حبذا لو وضعت له ميزانية
خاصة لها عدة مصادر للتمويل سواء على المستوى الرسمي أم المستوى
الاجتماعي والشعبي .

(د) وأخيرا الاعداد الجيد للقادة التربويين من الأئمة والخطباء .
ليكونوا طاقات تربوية موجهة .

وإن يكون ذلك الا حينما تتوفر خطة متكاملة داخل كل دولة
اسلامية على حدة . وداخل كل مجموعة من الدول الاسلامية تتضح
فيها الأهداف وتبرز فيها الغايات من وراء رسالة المسجد التربوية في
ظل اعداد جيد يقوم عليه أئمة متخصصون .

ولعل من دعائم ضمان الاعداد الجيد للأئمة ، أن تؤسس معاهد
خاصة تستقبل حفظة كتاب الله وتقدم لهم تلك المعاهد دراسات دينية ؛
يمكنهم بعدها مواصلة دراساتهم بنجاح في أقسام الاعداد المختلفة
للأئمة والخطباء .

بعد هذا يمكن أن يحقق الدور الذي نيط به ويتمكن من أن يستعيد
مكانته الأولى في الأزمان السالفة .

ويصبح المسجد مؤسسة تساهم في البناء الصحيح للفرد المسلم
وتتولى علاج المشكلات الاجتماعية والأسرية ومشكلات الشباب خلال
الحياة اليومية بالاضافة الى الهدف الأسمى وهو التربية الروحية .

ونحن متفائلون بأن تحقيق هذا سيكون قريبا ان شاء الله تعالى ؛
فالغيرة متوفرة . والنية صادقة . وبعض المؤسسات الاسلامية تسعى
جاهدة في سبيل هذا . والله سبحانه من وراء القصد وهو الهادي الى
سواء السبيل ، والله متم نوره ولو كره المشركون .



الاعلام ٠٠٠ ودوره التربوى فى مواجهة الغزو الثقافى

لا يستطيع انسان - مهما أوتى من ثقافة - أن ينكر الدور الكبير لى يقوم به الاعلام فى علم اليوم كما لا يستطيع أن يتلمس من شدة ر المشاهدة أو الاستماع الى وسائل الاعلام المختلفة . فهو - أم أبى يتعامل مع هذه الوسائل . ويحتك بتلك الركائز الثقافيه المتعددة .

ومع هذا التطور الهائل . والمتقدم التكنولوجى الرهيب . نسير للانسان التعرف على كل ما يدور فوق هذه الأرض . من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها . فلم تعد المسافات الشاسعة عقبة فى تسيير الخبر الى أقصى أرجاء المعمورة ؛ وانما كل ما يمارسه الفرد لا يتعدى ادارة مفتاح صغير . به ينفتح على كل ما يدور فوق هذا الكوكب من تفاعلات وأحداث وأنباء .

من هنا فلا مناص من الاعتراف بالدور الجوهري الذى يلعبه الاعلام فى حياتنا ؛ بل هو بحق الصورة التى تعكس كل أوجه الثقافة المتعددة . والمعرف الكثيرة داخل وخارج المجتمع .

والمجتمع - أى مجتمع - يمكن الحكم على تطوره أو تخلفه . تقدمه أو تقهقره من خلال ما تقدمه وسائل الاعلام فى ذلك المجتمع . بمعنى أنه كلما تسمت برامج الاعلام فيه بالجدية والموضوعية والمسئولية كلما دل هذا على تقدم المجتمع وتطوره ، والعكس صحيح .

وإذا كان هذا المعنى يصدق على الاعلام المحلى داخل المجتمع ؛ فان وعى الأفراد ، وتسليحهم بالوسائل العلمية الصادقة ، والثقافة الاسلامية الصحيحة خير موجه لهم ؛ لتقبل الصحيح من الاعلام الموجه عبر البث الاذاعى الخارجى الذى يأتى عن طريق برامج الاذاعات الموجهة الى عالمنا العربى والاسلامى .

ومما لا شك فيه أن تداول أجهزة الاعلام ، بهذا الكم الضخم ، وتلك الأعداد الهائلة ، واختراقها الى منازلنا وبيوتنا ، سهل أسلوب التعامل مع هذه الأجهزة ، الأمر الذى تطلب الحرص والتوعية خلال التعامل مع تلك الوسائل الاعلامية .

والتواقع المرآنة لا نستطيع السيطرة أو التحكم فى تلك الأجهزة .
مما أكد علينا ضرورة التوجيه المباشر وغير المباشر لعقول الشباب
والاطفال . وتوعيتهم أثناء استماعهم للبرامج من خلال تلك الأجهزة •

ولا نك أن الدين عندما يصبح متعمق فى نفوس الجماهير .
واصيلا فى كيان الشباب والاطفال . كلما توفر ذلك . كلما استضعنا أن نأمن
مخضرا نبرمج الموجهة الى عالمنا العربى والاسلامى •

ومن الملاحظ أن الاعلام أصبح يشكل قوة فعالة فى جميع المجتمعات
غنيها وفقيرها . عظيمها وحقيرها . متقدمها ومتخلفها . كما أنه يتضمن
جميع التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية • وربما
بتفاوت التأثير والتأثر من جانب الى جانب آخر . ومع ذلك فيبقى أن
وسائل الاعلام ما زالت وستظل تمثل قطاعا كبيرا وضخما . يسير جنب
الى جنب مع وسائل المؤسسات التربوية الأخرى داخل المجتمع •

من هنا بات لزاما علينا اعطاء درجة عالية من الاهتمام بوسائل
الاعلام كاحدى وسائل التربية ، التى تحتاج الى توجيه والى تبصير
وتوعية ، خصوصا مع ما نشاهده فى عالم اليوم من القصور الذى
أحاط بالمؤسسات التربوية ، ومنها المدرسة والأسرة وغيرهما •• وأيضا
مع ما نلاحظه من أن الاعلام يخاطب الملايين ببرامجه ، مهما كانت طبيعة
هذه الملايين . مثقفة أو غير ذلك ، واعية بقيمة وفهم الكلمة أم لا ••
ولا شك أن الغزو الثقافى يحاول بثتى الوسائل استخدام الاعلام
فى بذر سمومه بين البراعم الغضة من الأطفال والشباب حتى يتمكن
من بلبله الفكر ، وذبذبة الفرد فى سبيل قلة ثقته فى معتقداته ، ومقدراته
الثقافية والحضارية والدينية •

وهذا الغزو الثقافى يهدف فى حقيقته الى فرض فكر غير اسلامى .
لمفكرين غير مسلمين . وذلك عبر نشاطه الاعلامى والتربوى الموجه .
من أجل التشكيك فى صلاحية المنهج الاسلامى كنموذج صالح للمجتمع
عبر برامج اعلامية موجهة هادفة •

والاعلام الاسلامى بما له من رصيد ضخمة وهائل . قادر على
تنمية قدرات الأفراد فى جميع المجالات ، وقادر كذلك على التناسق بين
الفرد وبين عقيدته ، بين الفرد ومجتمعه ، بحيث ينتظم المجتمع .
وتختفى منه فجوة الخلطة بين الفكر والعمل ، بين النظر والتطبيق

صُلما يستمد لاعلام مادته ونصوصه من الثقافة الاسلاميه . ومن
الفتر الاسلامى .

« ولا شك أن الفرد — أى فرد — تتناسب قدرته على المعيشة
الناجحة فى جماعته مع القدر الذى يحمله من ثقافته . والنسب فى
هذا أن الجماعة ليست فى حقيقتها — عندما ننظر إليها بمنظار التربية —
ليست الأفراد لذين يكونونها . وليست الأجيال المتعاقبة عن هؤلاء
الأفراد وإنما حقيقة الجماعة فى الثقافة التى تتوارثها الأجيال المتعاقبة .
ومن هنا فالأفراد يذوبون فى كل جماعة . وتبقى الثقافة . فهى
لا تذوب أبدا . لأنها واجهة الجماعة ومرآتها » .

وبناء على ذلك فإن تربية الفرد فى ظل العقيدة الصحيحة المستمدة من
القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أمر حتمى يقع على الاعلام المسئولية
الكبرى من بناء الفرد المسلم ونموه فى ظل تلك المبادئ السامية .
حتى يستطيع أن يواجه مجتمعه المحلى . والمجتمع الدولى وأن يتفاعل
معهما بما استفاده من ثقافته الاسلامية التى اهتدى إليها .

من هنا فالاعلام يتحمل « مسئولية تمكين الانسان المسلم من
ثقافة اسلامية صحيحة . لأن الفرد المسلم اذا تعرض لتربية لم تعطه
كل ثقافة مجتمعه أو أعطنه صورة خاطئة من هذه الثقافة . أو تعرض لأن
يتربى وينمو بوسيلة ثقافية لجماعة أخرى . فإن ذلك ينعكس على الفرد
وعنى الجماعة وعنى التربية فى المقام الأول » .

* * *

مصطلحات ومفاهيم

أولا — الاعلام العام :

ويقصد به تزويد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات الموضوعية
الصحيحة واثابحة : وكلمة الاعلام فى حد ذاتها مصاغة من أعلمه
بالنشىء . فهو يقوم على مبدأ التفاهم القائم على تنظيم التفاعل بين
الناس وتجاوبهم وتعاطفهم فى الآراء فيما بينهم : والاعلام بهذا يعتبر
من الظواهر التى طورتها الحضارة الحديثة وأمدتها بالمواد والامكانيات
الهائلة : بحيث أصبحت تمثل قوة لا يمكن الاستغناء عنها فى عالم اليوم
على المستويين الشعبى والحكومى على السواء .

ثانياً - الاعلام الاسلامى :

ويقصد به تكوين رأى عام صائب يدرك الحقائق الدينية وينتقدها وينتأثر بها فى معتقداته وعباداته ومعاملاته ؛ بشرط أن تتوفر فيمن يتعرض لهذا الميدان الصفات الدينية والخلقية المتعمقة والواسعة فى الموضوع الذى يتناوله بالكلمة المكتوبة أو المسموعة أو المشاهدة .

وبصفة عامة . فالاعلام الاسلامى يهدف الى تزويد الجماهير بحقائق الدين الاسلامى المستمد من الكتاب والسنة بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة اعلامية دينية متخصصة أو عامة .

* * *

* الموقف الحالى للاعلام :

بنظرة متأنية فاحصة لصور الاعلام المتعددة الحالية نلمح أنه يعترها القصور وينتابها الخلل فى كثير مما تقدمه . وما تتعرض له من قضايا وموضوعات ؛ على جميع الأشكال والتخصصات سواء ما كان منها بالكلمة المكتوبة أو المسموعة أو البرامج المشاهدة .

(١) **الكلمة المكتوبة** : ويلاحظ أن الكلمة المكتوبة لم تف ولم تشبع حاجات ومتطلبات مختلف القطاعات من الجماهير ؛ خصوصا من الشباب والأطفال .

ويظهر هذا بوضوح عندما نلمح أنه لا تنوع فى الأبواب المكتوبة بل هى ثابتة . لا تلوين فيها ولا تجديد ؛ بل ربما لا تتاح الفرصة للجيل الصاعد من الشباب أن يدلى بدلوه . وأن يدخل ميدان الكتابة بنمط جديد . بهدف التكامل فى البنية الثقافية بين التراث الحضارى ؛ وبين المكتشفات المعاصرة ؛ فالأصالة والتجديد ملمحان ملحان نحتاج اليهما فى عالم اليوم .

والمشاهد أيضا أن فن الاخراج للكلمة المكتوبة سواء بالصحف اليومية أو المجلات أو الكتب الثقافية ، يحتاج الى اعادة نظر ، فغالبا ما ينحصر الاخراج فى أشكال محدودة لا ينفك عنها ولا يتجاوزها بحال من الأحوال . الأمر الذى يجبر القارئ على أن يستقى المعلومات من صحف أخرى ؛ قد تكون خارجية وأجنبية وغريبة عن بيئتنا وغير مستمدة من قيمنا ومبادئنا الاسلامية ، وحينئذ يقع شبابنا فريسة لفكر وافد علينا . يقتحم دارنا بارادتنا ، أو بالرغم منا ، طالما لم نخرج الصحيفة

أو المجلة بالشكل الذى يستقطب الجمهور . ويسيطر على اتجاه الأفراد نحو القراءة .

والملاحظ كذلك أن متطلبات الجماهير لا تجد لها صدى بصورة كاملة خلال الكمة المكتوبة . فالشأن فى الكمة المكتوبة أن تستجيب لحدس ومشاعر الجماهير على جميع المستويات الثقافية لا أن تفرض نوعا معيناً ولونا خاصاً من ألوان الثقافة .

ومما تجدر الاشارة اليه اختفاء ظاهرة توزيع الأدوار الثقافية بين الصحف والمجلات والكتب . فلا نلمح بشكل جدى وفعال أبواباً من صحيفة أو أجزاء من مجلة خصصت للشباب أو الأطفال تبحث فى مشاكلهم . وتتعرف على احتياجاتهم بصورة متكاملة ؛ تتحرى فيها صدق التعبير . وتراعى فيها المبادئ والقيم المستمدة من الكتاب والسنة .

(ب) الكلمة المسووعة : بالرغم من المحاولات المبذولة لبث برامج دينية متخصصة فى قضايا الدين عبر اذاعات معينة الا أننا نلمح للقصور فى أمور تتركز فى : الازدواجية بين البث الاذاعى للبرنامج العام والبث الاذاعى لأمور الدين . الأمر الذى ترتب عليه ازدياد وبعثرة للجهود . وغدت المسألة وكأنها مجرد ساعات تخصص لبرامج دينية فى اذاعة خاصة . قد لا ينتبه لها قطاع كبير من الجماهير . ناهيك عن اجتذاب البرامج المنبثة من البرنامج العام والتي تستقطب اتجاه الكثير من الشباب والأطفال . وبهذا خلا البث الاذاعى للبرامج الدينية — من المحطات الخاصة — من تحقيق هدفه بالشكل المأمول ؛ وهو التوعية الثقافية لأمور الدين والعقيدة الاسلامية للسواد الأعظم من الجماهير المسلمة . اللهم فيما سوى البعض من الكبار فى السن . ممن أهلوا أصلاً فى أمور الدين .

ومن هنا بات المواطن تستهويه البرامج الترفيهية . وتسيطر عليه . مما لا يجد به متنسلاً لاستماع البرامج الدينية المتخصصة .

— لا موازنة بين البرامج الاذاعية . وبين احتياجات الجماهير والمشكلات اليومية التى تعيشها . فالمواطن فى حاجة الى ما يمس جوهر حياته مباشرة . سواء فيما يتصل بالجانب النفسى والروحى أو الجانب الخلقى أو العقى أو البدنى .. الخ .

— ما زال نصيب الشباب والأطفال من البرامج فى حاجة الى جهد وتدعيم للتأكيد على دور الشباب من أجل تحقيق النمو الاجتماعى والاقتصادى والحضارى والثقافى .

— البرامج الموجهة الى عالمنا العربى والاسلامى تصاحبها سموم مدسوسة ، بهدف النيل من اسلامنا ومن حضارتنا ومن مقدراتنا . وبرامجنا الازاعية لا تعبير اهتماما خاصا وبشكل فعال لمواجهة هذه المغالطات . والرد على تلك الافتراءات والاباطيل . وتشويه الحقائق . الأمر الذى يربك المواطن العادى . وقد يقع فريسة لتلك البرامج فتحتويه . وتستولى على فكره . فيتشكك فى مقدرات أمته وحضارة بلاده . ولم يكن ذلك سوى التقصير فى ترك الحبل على الغارب لهذه البرامج المدسوسة والذخيلة على بلادنا .

— ما زالت هناك مجالات كثيرة . تحتاج الى برامج جديدة تسير الحضارة التى نعيشها . وتتوازى مع التقدم الصناعى والاقتصادى الذى تعيشه أمتنا الاسلامية ، حتى تستجيب تلك البرامج بشكل مباشر وغير مباشر لحياة المسلم فى عالم اليوم . وحتى تستقطب جميع الأفراد على جميع المستويات الثقافية والنوعية .

(ج) **البرامج المرئية** : ولا مندوحة من التسليم أن هناك محاولات تبذل من أجل تطوير هذه الوسيلة الاعلامية الحديثة . التى استقطبت معظم الجماهير من مثقفين وغير مثقفين . لدرجة باتت الكلمة المكتوبة تعاني من ندرة قرائها ومن سبر أغوارها . ولا شك أن الجماهير تستجيبها الراحة . فغالما تصل اليها المعلومات بشكل أيسر . فلا حاجة بها الى بذل الجهد المادى والبدنى فى شراء الكتاب وفى قراءته .

وما دام الحال والشأن كذلك فان « التليفزيون » يلعب دورا تربويا خديرا فى العصر الحالى . ومع ذلك لا يختلف اثنان على أن هناك قصورا يتركز فى أن البرامج التليفزيونية خالية من الكثير من اعطاء الشباب القدر المناسب من مناقشة مشاكلهم . ومن تعرف على ظروفهم خلال المتغيرات الجديدة . سواء منها ما يرتبط بالأسرة أو العلاقات الزوجية ، أو مشكلات الزواج وما الى ذلك مما لا يمكن فصله عن حياة المواطن . كما نلاحظ أن مشكلات الناس لا بد أن تتضح من خلال برامج تناقش مشكلات الجماهير . وتستجيب لطرائق حلها بما يتفق ومبادئنا الدينية السليمة . ومما تجدر الاشارة اليه أن بعض برامج « الكرتون للأطفال » خصوصا الأجنبية منها ما زالت تعترتها شبهات ، وينتابها الخلل فيما يتصل بالخيالات غير المعقولة . الأمر الذى يحتاج الى بدائل متخصصة تتم بمادة علمية صادقة وبصورة كريمة بعيدة عن الايقاع فى الشبهات

أو الانبهار بأمور خرافية تربك الطفل وتوقعه في تشكيك وتشويش
لا أساس له من دين .

* * *

* طرق العلاج :

وتتركز طرق العلاج في :

أولا : التنسيق بين دور الصحف والمجلات والكتب الثقافية بما
يضمن تحقيق الأهداف المنشودة في بناء المواطن المتكامل علميا وثقافيا
وخلقي ودينيا .. الخ .

ثانيا : ثلاثى الازدواجية - بقدر الامكان - بين برامج البث
الاذاعي من البرنامج العام . وبين البث الاذاعي من المحطات المتخصصة
في البرامج الدينية . وهذا يتيح الفرصة لتوحيد برامج دينية كثيرة
بحيث يمكن ضمان الاستماع اليها لقطاع كبير من المستمعين .

ثالثا : استحداث بدائل لبرامج الأطفال . بحيث تظهر البطولات
الاسلامية كمدة علمية في قصص مبسطة . تركز على التراث الاسلامي ؛
وتساهم في بناء الشخصية السوية الواعية بالفكر الاسلامي الاصيل .

رابعا : يجب أن تتزامن البرامج المسموعة والمرئية مع الأوقات
التي يستجيب فيها الجمهور للرؤية أو الاستماع ؛ خصوصا فيما يتصل
بالبرامج المرتبطة بمشكلات الناس . حتى تتلشى بعثرة الجهد انبذول
في تلك المادة العلمية المسموعة أو المرئية .

خامسا : ملاحقة الأفكار التي تبثها البرامج الموجهة الى عالمنا
العربي والاسلامي والعمل على تعريتها من الصحة والصواب أولا بأول .

سادسا : النزول الى الشارع وتبني مشكلات الناس وملاحقة
العمل على حلها وعلى علاجها .

سابعا اشراك الأقلام الجديدة ؛ والأفكار الجديدة بالكلمة المكتوبة
والمسموعة والمرئية .

* * *

المدرسة ٠٠٠ ودورها التربوي في مواجهة الغزو الثقافي

المدرسة والمجتمع متلازمان رقيقا وتخففا . تتقدما وتاخرا ، تطورا وجمودا . فحيثما يكون مستوى المجتمع يكون مستوى المدرسة . وحيثما يكون مستوى المدرسة يكون مستوى المجتمع . فمن وظائف المدرسة أنها تعمل على زيادة كفاية المجتمع وفاعليته ، في معركة الصراع والتنافس الثقافي . الذي بلغ ذروته في عصرنا الراهن ، ويات مؤكدا أن كل صراع بين الجماعات البشرية . انما هو صراع بين ثقافات . وحضرات وطرق حياة .

واذا كانت معظم العلاقات الدولية . والعلاقات الخارجية بين المجتمعات . لا تخلو من لون التنافس والصراع الثقافي . فان واجب المدرسة تزويد الجيل الناضئ بأدوات هذا الصراع . سواء منها الزراعية أو الصناعية أو الأيديولوجية أو الجغرافية ، وقبل هذا وبعده الدينية .

هذا واذا تأكد لدينا أن المؤسسات التربوية والتعليمية . وعلى رأسها المدرسة . لم تسلم من هذا الغزو الثقافي . بل كرس هذا الغزو حملاته وجهوده . لبذر تلك السموم بين البراعم الغضة . حتى يمكن تطعيم هذا الجيل بفكر ملوث . يهدف الى بلبلة الفكر . وذبذبة الفرد من أجل زعزعة ثقته . في معتقداته ومقدراته الثقافية والحضارية .

أقول : اذا كان ذلك كذلك . فما هو واقع المدرسة الحالي في المجتمع الاسلامي ؟ ثم كيف تسال هذا الغزو الثقافي الى المدرسة في المجتمع الاسلامي ؟ وهل المدرسة في المجتمع الاسلامي قادرة على مواكبة روح العصر في ميادين العلم المختلفة ؟

ثم هل المنهج في صورته الحالية : يتيح الفرصة لبناء العقلية الابتكارية المبدعة : القادرة على الصمود في وجه التيارات الالحادية الهدامة ؟ وهل المعلم في المدرسة مهيا نفسيا وعلميا وتربويا وخلقيا ودينيا لتحمل مسؤوليته في بناء الفرد المسلم ، المتسلح بمقومات الثقافة الاسلامية . القادرة على مواجهة التيارات الالحادية الهدامة ، والغزو الثقافي الخطير ؟

ثم هل تلميذ المدرسة الحالي قابل ومهيأ لتحمل دوره في المستقبل ،
سواء في جانب الفكر والنظر ، أو الابداع والابتكار ؟
لا شك أن المدرسة في مجتمعاتنا الإسلامية ، وفي صورتها الراهنة
نحتاج الي مراجعة للبرامج والمناهج ، وطرق التدريس . حتى يمكنها
أن تواكب العصر وتساير التقدم .

* * *

اولا - وصف عام لطبيعة المدرسة وأهدافها في العصر الحالي :

يغلب على طبيعة المدرسة في عصرنا الحالي أسلوب التلقين .
عذى يعنى عرض وجهة نظر معينة على التلاميذ . دون السماح لهم في
غالب الأحيان بمناقشة وجهات نظر أخرى . كما يعنى التلقين أيضا محاولة
لتركيز على نقل المعارف والتراث . كما هو من أجل المحافظة عليه
رأبفءه على مر الأجيال واندهور .

من عند غم يكن هناك من هدف للمدرسة الحالية . سوى أنها
مكان يتلقى مجموعة من العلوم والمعارف ، وتحفيظ المتعلمين لها . دون
لاهتمام بالجانب الابتكاري أو الابداعي . اللهم فيما عدا العلوم العلمية
على تحتاج الي جهد جهيد من أجل الوصول بها الي تحقيق أهدافها
حقيقية .

وعموه ، فطقت بات جل اهتمام المدرسة . وخصوصا في المرحلة
لابتدائية مصبا على التخلص من الأمية ، للسواد الأعظم ، في بلاد
المجتمعات الإسلامية ، وخصوصا الفقيرة منها . وإذا صح أن بعض
تلك المدارس تولى وجهها شطر المواد الدراسية الأساسية ، فأنها لا تعدو
أن تكون مبادئ أولية في الحساب . ومختارات معينة من القرآن الكريم
والسيرة النبوية ، والأحاديث . وبعض الدراسات في الأخلاق الإسلامية ،
والتاريخ والمناسبات السياسية .

وحتى في المدارس الدينية - المعاهد المتخصصة - نجد مناهجها
قد تقلصت . لتغدو محصورة في علوم الدين : من فقه . وتفسير .
وعقيدة . وعلوم اللغة العربية ، دون ما ارتباط كبير بالمواد العلمية ،
المرتبطة بالمفاهيم العصرية ، والنظريات العلمية الحديثة . الأمر الذي
ترتب عليه عزل خريجي هذه المدارس عن الفكر المعاصر . وبالتالي
حصرهم داخل نطاق محدود ، سواء في دور العبادة أو المؤسسات
الدينية الضيقة .

من هنا بات التباين واضحا بين نمطين من التعليم : التعليم الدينى والتعليم المدنى وغدا معظم طلاب العلم . وأولياء الأمور . يجنحون الى الدفع بأبنائهم وبناتهم الى التعليم المدنى . حتى يتخلصوا من هذا الحصار المضروب عليهم .

ولا شك أن هذه النتيجة كانت اثمرة . التى تمخضت عن الغزو الثقافى للمجتمعات الاسلاميه . وهذا مما يلقي بالتعبية علينا . من أجل تبين كيفية تسال ذلك الغزو الثقافى الى مدارسنا . فى المجتمعات الاسلاميه ؛ وكيف أنه لعب هذا الدور الخطير ؛ فى ارساء دعائم التعليم . بصورة ازدواجية : دينية من جهة ومدنية من جهة أخرى . فى حين لم يسلم كلا النظامين من قصور فى الأهداف . والمناهج . وطرق اعداد المعلم ؛ ونوعية التلميذ .

واذا كنا قد ألمحنا الى ذلك فى التعليم الدينى . فان التعليم المدنى لم يكن أكثر حظا من التعليم الدينى . حيث خلا فى كثير من مناهجه . من الجانب الروحى . والعقائدى والفكرى . بل وحتى الابتكارى والابداعى . وما جاء مشتتلا على ذلك فلا يتعدى القشور التى لا تستقر فى ذهن المتعلم ولا تستكن فى قرارة نفسه .

وإذا جاز لنا أن نقول : ان بعضا من بلاد العالم الاسلامى ؛ خصوصا التى انجلى عنها الاستعمار ؛ قد سعت وجدت فى تطوير مناهجها . واضفاء مزيد من التعديلات والتنقيحات على تلك المناهج ، حتى تغدو متلائمة مع البيئة المسلمة ؛ الا أنه وحتى الآن ما زالت هناك ثغرات بتلك المناهج ؛ خصوصا ما يرتبط منها بالجانب الروحى والدينى والعقائدى وينحصر ذلك فيما يلى :

(ا) ضيق المعرفة التحصيلية ؛ حيث ان ما يقدم خلال المراحل الدراسية ؛ لا يحقق الهدف المنشود ؛ مما ينتج أفرادا قليلي المعرفة خصوصا فى الجانب الدينى .

(ب) اعتماد كثير من المدرسين على أسلوب التلقين ؛ وهو أسلوب لا يؤثر كثيرا فى نفوس التلاميذ ؛ ولا يجذبهم الى الدرس .

(ج) قصور بعض المناهج الدينية عن دراسة الشخصيات الاسلاميه المتسمة بالأخلاق الحميدة .

(د) اقام معلمين غير أكفاء لتدريس المواد الدينية .

(ه) ضيق الوقت المخصص لتدريس المواد الدينية المرتبطة بالعقيدة . فهو لا يتعدى ساعة أو ساعتين أسبوعياً . بينما يبقى الامتحان فيها رهيناً بالتأرجح بين الإبقاء والابتناء . وان أجز الامتحان فلا تصاف درجته الى المجموع . هذا في الوقت الذي يستغل فيه أحياناً وقت التربية الدينية لاستكمال تدريس مواد أخرى^(١١) .

وهذا أمر يترتب عليه انصراف الكثير من التلاميذ عن هضم تلك المواد التي هي لركيزة الأساسية في بناء الفرد المسلم . لان الاسلام حينما يهتم بتربية الفرد . فإنه يعتمد في ذلك على ما يتيح للفرد من نصوص في العقيدة . ومن هدى النبي صلى الله عليه وسلم . ومن خبرات تحيط به . يكتسب من خلالها مواقف في الحياة تهيئه الى أقوم السبل . وتساعد على أن يهضم ثقافته الاسلامية .

والفرد لا يتمكن من النمو نمواً حقيقياً الا اذا استطاع أن يواجه البيئة الطبيعية والاجتماعية وأن يتفاعل معها في ظل من ثقافته الاسلامية التي اهتدى اليها .

ثانياً - كيف تسلل هذا الغزو الثقافي الى المدرسة في المجتمع الاسلامى ؟

١ - المنظور التاريخى : ويرجع ذلك الى الاستعمار الغربى . الذى احتل كثيراً من بلاد العالم الاسلامى . وما تعرضت له تلك البلاد من الحروب والغزوات العسكرية .

ومع تخلص الكثير من تلك البلاد من هذا الغزو العسكرى . الا أنها لم تسلم من الخضوع لغزو أعظم وأشد . وهو الغزو الفكرى . الذى جاء من أبواب متفرقة . وبأساليب مختلفة ، والذى ساد معظم بلاد المجتمع الاسلامى .

ولما كانت المدرسة هي أخصب مرتع لنشر ذلك الفكر الوافد ، فان المناهج قد شحنت وأدخل عليها . أفكار وآراء ، وتيارات ملوثة لبثها بين الطلاب والطالبات .

ولقد بدأ ذلك واضحاً في كثير من البلاد الاسلامية ، ومنها سوريا ومصر وغيرهما ، يقول ساطع الحصرى في تقريره عن مناهج التعليم

١١ - محمد عبد القادر أحمد ، طرق تعلم التربية الاسلامية . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة . ط ١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

في سوريا : « ان النظم العديدة التي وضعت في سوريا في عهد الانتداب الفرنسي انما وضعت تنفيذا لسياسة مرسومه بوضوح واتقان . ونستطيع أن نقول ان غاية هذه السياسة ، كانت تأمين سيطرة الثقافة الفرنسية والنظم الفرنسية . على معارف البلاد سيطرة مطلقة : من غير التفات الى ما تتطلبه التربية السليمة والعلم الصحيح » (١) .

ولم تكن مصر بأفضل حالا من سوريا . فلقد كرس الاستعمار البريطاني حملته الهائجة ضد مناهج التعليم فيها . بل ان الاستعمار البريطاني عمد الى اخراج « القسيس دنلوب » من مجاله الديني الكهنوتي ليصبح مستشارا لمناهج التعليم ، حتى يتمكن من تجريد الثقافة والمناهج التعليمية من كل شيء يسمى بالاسلام أو التربية الاسلامية (٢) .

وفي هذا الاطار نلمح الدور الذي قام به الاستعمار ، من العبث في مناهج التربية في بلاد العالم الاسلامي ، متمثلة في تحية القرآن الكريم والتاريخ الاسلامي من مناهج المدرسة الابتدائية ومن هنا تخرجت أجيال مضطربة ، مادية الأغراض ، مزعزة العقيدة (٣) .

٢ - **اقحام مفاهيم جديدة على الاسلام :** وذلك بادخال أفكار وثقافات بعيدة عن العلوم المادية البحتة ، لأنها علوم تخضع للتجربة المادية . وفرصة التزييف فيها معرضة للفشل ، بالاضافة الى أنها لا تمس المفهوم الاسلامي الصحيح .

من هنا لم يجد الاستعمار الفكري مناصا من بذر أفكار وثقافات تمس المفاهيم الاسلامية ، بحيث تنتهي الظروف الملائمة ، والوسائل الكفيلة بمزاحمة المفاهيم الاسلامية لتحل محلها .

وعلى هذا برزت علوم تتصل بحكمة الوجود ونشأته ، ومصير الحياة ومصير الانسان بعد هذه الحياة . وكلها علوم بعيدة عن التجربة .

(٢) محمد أمين المصري ، المجتمع الاسلامي ، دار الأرقم ، الكويت ،

ط (١) ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(٣) محمد محمود الصواف ، المخططات الاستعمارية لكافة الاسلام ،

دار الاعتصام القاهرة .

(٤) محمد منير مرسى . التربية الاسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ،

١٩٧٧ م .

ويمكن بطريقتة أو بأخرى أن تمس العقيدة الاسلامية والمفاهيم
الاسلامية التي تدور في هذا الاطار . . .

ووفق هذا الاتجاه دخلت جملة من العلوم : كعلم النفس وعلم
الاجتماع . وعلم الاخلاق . وعلم الاقتصاد . وعلم السياسة . . . ومن
شأن هذه العلوم أنها قادرة على بليلة فكر الشباب المسلم : وغزو
عقله . خصوصا بما استحدثته تلك العلوم . من بعض الحقائق الظاهرة :
التي تخضع للتجربة والملاحظة ، والتي ليس بمقدور الانسان أن يحرفها
عن موضعها الذي وصلت اليه بالبرهان والدليل .

هذا ولم يتورع الغزو الثقافي من اثاره الشبهات حول مفاهيم
الاسلام . بل الأدهى وأمر من ذلك أنه شكك في بعض النصوص المستمثلة
في مضمونها على هذه المبادئ وتلك المفاهيم (٥) .

٣ - الترويج بأن الثقافة الاسلامية عاجزة عن مسايرة ومواكبة العصر :

وهدف هذه الوسيلة . لتفجير الجيل المسلم الناشئ من العلوم
والثقافة الاسلامية . بدعوى أنها عقيمة غير منتجة . وبالتالي غير صالحة
لمسايرة معارف العصر ومواكبة الثقافة الغازية .

ومن هنا خلقت ناهض هذا الغزو الثقافي المعارف الاسلامية .
وآدخل فيها الشبهات . وآثار حولها التعقيدات : في سبيل محاربة الأنشطة
التعليمية الاسلامية . والتي تهدف الى مواجهة كل أنواع الغزو الثقافي
الموث .

وفي هذا الاطار روح الغزو الثقافي . لتفريغ العقول المسلمة من الفهم
الاسلامى الصحيح : بغية تقبل ما تمليه تلك الفئة الباغية من فكر وافد :
وثقافة ملوثة : تستطيع فرضها على عقول المسلمين .

كما نسمح أن هذا الغزو ، بالغ كثيرا في الاستهانة والنقد لتاريخ
المسلمين ، من أجل تثبيت عنصر استهانة الأجيال المسلمة بحضارتها ،
وفقدان ثقافتها في تاريخها (٦) .

٤ - المنح الدراسية : وذلك باستقطاب أعداد كبيرة من المثقفين ، عن طريق المنح الدراسية ، للحصول على الشهادات الجامعية ، وفوق

(٥) عبد الرحمن حسن حنيفة ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، ط (٢)
دار القلم ، دمشق - بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
(٦) المرجع السابق ، ص ٦١٩ - ٦٢٠ .

الجامعية . وهذا بدوره يتيح الفرصة أمام الفكر الغازى . حتى يصير
دما يسرى في عروق السواد الأعظم من هؤلاء الدارسين . الذين يتوقع
ن يكون البعض منهم أبواقا لهذا الغزو . خصوصا عند من سيدير
منهم دفعة التعليم في بلادهم الاسلامية . أو يمتحن التدريس بالمدارس
في تلك المجتمعات .

٥ - اغراق المكتبة الاسلامية عامة . ومكتبات المدارس خاصة
بالقصص الأجنبية المترجمة .

وهذا أمر مشاهد في كثير من الكتب القصصية . التي جاءت في
كثير منها خيالية وبعيدة عن الواقع . أو بالأحرى عن الدين . وهذا أمر
يقوى لدى الطلاب الارتباط بالمساديات واهمال الروحانيات تماما .

هذا ولقد اشمتم تلك القصص في معظمها بالخيال ، والبعد عن
الواقعية . وتلك نماذج من مسميات تلك القصص مثل قصة : الأمير
والضفدع - وقصة جمعيان - وقصة القدر السحرية - وقصة ليلي
الحمراء والذئب . ومنها أيضا قصة بياض الثلج والأقزام السبعة ،
وهذا أمر يندى له الجبين . وترتعش منه الأبدان . وينفطر منه القلب ،
اذ كيف يمكن أن ننقع الطفل بأن هذه قصص خيالية ، وأنها لا صلة
لها بالواقع . . !! وهكذا يقع أطفالنا وشبابنا ضحية هذه المجموعات
الكبيرة من القصص الخيالية .

وتلك القصص جاءت ضمن سلسلة « ليديرد بوك ليمتد » وهي
سلسلة انجليزية . ترجمت الى العربية . دون أدنى مراجعة أو فحص ،
لاستبعاد الغث منها . وما لا يتناسب مع القيم الاسلامية . أو المبادئ
التربوية . خصوصا مع تلك البراعم الغضة . والعقول البسيطة ، التي
يؤثر فيها مثل هذا الاتجاه . ومثل تلك الألوان من الفكر الخيالي ، الأمر
الذي يترتب عليه الانبهار بالخيالات ، والثقة في الجمادات ، وعدم
الارتباط بالقيم والروحانيات ، ولم يكن ذلك الا نتيجة لتأثير مثل تلك
القصص الهدامة .

٦ - الانبهار بالتعليم الأجنبي : وذلك بجذب قطاع كبير من
الشباب المسلم الى التعليم في مدارس أجنبية ، تيمنا باعتلاء أرقى
الوظائف . وتباهيا بالتعليم ضمن بنية التعليم الأجنبية بفلسفتها ونظمها
وأيدولوجيتها .

* * *

ثالثا - طرق العلاج :

إذا كانت التربية في البلاد المتقدمة تكون شخصيات مبدعة ومبتكرة فإنها بلا شك خالية من الروح التي توجه تلك القدرات المبدعة . وتجعلها منتمت بالابتكارات والاختراعات التي تفيد الانسانية من أجل الخير (٧) . ومع ذلك فإن التربية الاسلامية قادرة على الخروج من دائرة الاتهام : بأنها تكون رجلا وشخصيات قادرة على الاختراع والابداع والابتكار . . كما أنها قادرة كذلك على تكوين رجال قادرين على الاتيان بجديد . لديهم روح الابداع والابتكار والاختراع . ولا يقتصرون على الالتزام بالماضى وبما هو موجود .

كما أن التربية الاسلامية قادرة كذلك على تنمية الطبيعة الانسانية وتربيتها وتوجيهها . حتى توجد نوعا من التناسق والترابط بين مكونات الشخصية الاسلامية بصفة متميزة ومكاملة وقادرة على الابداع والاختراع . تستطيع صد التيارات الهدامة والغزو الثقافي الموجه . وهذا بلا شك سيحمى الأجيال المسلمة . من اقتفاء أثر الغزو الثقافي وانسير خلفه شبرا بشبر في جميع المبتكرات والاختراعات التي تغزو بلادنا بشرها وخيرها . وحابلها ونابلها دون تمييز أو حماية للمجتمعات الاسلامية (٨) .

ووقتها يمكن للعقول المسلمة أن تقتنع بأن الاسلام هو دين علم وتقدم وحضارة ، بالاضافة الى أنه دين أخلاق وعقيدة .

هذا ويمكننا أن نحدد أساليب العلاج في الأمور التالية :

- ١ - اضافة مواد علمية جديدة . تكون أداة من أدوات الدولة الحديثة في المجتمعات الاسلامية ، وأساسا يقوم عليه امتداد العملية التربوية لتشمل الفكر والمهارات والخبرات المختلفة والمتباينة . وهذا يعنى تدعيم برامج التعليم بمواد ابتكارية وابداعية وتكنولوجية من أجل تكوين الفرد المسلم الحر المبتكر المبدع .
- ٢ - استخدام أحدث الطرق التربوية في التدريس ، والتخلص من الأنماط التقليدية في العملية التعليمية .

(٧) مقداد بالجن . التربية الابداعية في ضوء التربية الاسلامية ، الفصل - مجلة ثقافية شهرية - العدد ٦٨ (صفر سنة ١٤٠٣ هـ - ديسمبر سنة ١٩٨٢ م) .

(٨) المرجع السابق .

٣ — الاعداد الجيد للمعلم علميا ومهنيا . ونفسيا وخلقيا ودينيا .
وانتركيز على حرق انتقاء المعلمين . الذين تتوفر لديهم الرغبة الذاتية
لاكيدة للعمل في مهنة التدريس .

٤ — اتاحة الفرصة أمام الطلاب والطالبات . وذلك باعضائهم
مجالات علمية واسعة : حتى يستطيعوا أن ينتقوا منها الاتجاهات التي
يفضلونها . وتتناسب مع قدراتهم وميولهم ورغباتهم .

٥ — وضع المناهج وبرامج التعليم . بشكل يضمن الاستغناء عما
هو سائد في مدارس التعليم بالخارج وخصوصا ما يتعلق منها بالفلسفات
والأنظمة والايديولوجيات : وهذا حتى نأمن الانبهار بتلك الاتجاهات
أو مسيرتها .

٦ — تكثيف الجهود الفردية والجماعية . عن طريق المؤسسات
التعليمية . ومراكز البحوث العلمية . من أجل كتابة مجموعات ومسلسلات
من الكتب والنقص الدينية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية :
بحيث تكون مشوقة وجذابة تنبثق من اطار الاسلام . وترتبط به من
جهة . كما ترتبط بروح العصر ومقدراته من جهة أخرى .

ووقتها نستطيع أن نقول : انه لا خوف على شبابنا أو فتياتنا
من الغزو الثقافي حتى ولو ملئت فجاج الأرض فكرا مختلطا أو ثقافة
ملوثة . ووقتها تكون المدرسة قد أدت دورها في مواجهة هذا الغزو
الثقافي للمجتمع الاسلامي « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى
عزيز » (٩) .

* * *

الصدق .. وأثره التربوي في المجتمع المدرسي

مما لا شك فيه أن بناء المدارس . وتسييد المؤسسات التربوية
بشئى مراحلها المختلفة هدف رئيسى . تسعى كل المجتمعات — على وجه
التقريب — إلى تحقيقه .

والهدف الأسمى من بناء تلك المدارس . ليس هو البنية الظاهرية .
لكونه للعمية التعميمية . بل يكمن الهدف الرئيسى والأساسى فى تحقيق
لمساهمة الفعالة نحو ترسيخ وتدعيم القيم التربوية .
وتقاس استجابة الدول لعوامل التطور والتقدم الحضرى
والتكنولوجى بمدى قدرتها على تحقيق الرخاء وبناء الانسان المتكامل
نفسياً واجتماعياً وثقافياً وروحياً . ومدى قدرة المدرسة على تطبيق
وتحقيق هذا الهدف .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا :

كيف يمكن أن نحكم على نجاح العملية التربوية والتعليمية ؟

ثم ما هو المعيار الصادق لتحقيق هذا النجاح ؟

وأيضاً هل يكمن النجاح التربوى فى تخريج فوج ضخمة من
المتعلمين بصرف النظر عن تكوينهم الخلقى الكافى ؟

وبلدىء ذى بدء لا ادعى أن بحثنا كهذا سوف يكشف الاجابة عن كل
هذه التساؤلات !!! فهى دقيقة وعميقة وواسعة . حيث ان المبادئ
لتربوية تحتوى على الكثير مما لا يتسع له المجال هنا . فهناك الصدق .
والأمانة . والاعتدال فى الانفق . والحسمة . والمحافظة على المرافق .
وغير ذلك الكثير العزيز الذى اتسعت له المبادئ التربوية فى الاسلام .
غير أننا سوف نركز هنا على مبدأ واحد . هو الصدق حيث انه
يمثل من وجهة نظرنا حجر الزاوية فى العمية التربوية . بل فى بناء
المجتمع ككل .

هذا وسنناول معالجة هذه القضية على النحو التالى :

أولاً : مفهوم الصدق .

ثانياً : اصدق فى القرآن والسنة .

ثالثاً : الصدق فى انوسط المدرسى .

- رابعا : صور من آثار الكذب المدرسى
- خامسا : أساليب العلاج

* * *

أولا - مفهوم الصدق :

يعرف الصدق على أنه : « قول الحق . وبأنه القول المطابق لواقع والحقيقة »^(١) كما يعرف على أنه « التعبير للحقيقة أيا كان نوع التعبير » بالقول أو بالحركة أو بالاشارة أو بتأليف الكتب . وما الى ذلك . فإذا كان التعبير عن الذات . وجب أن يكون مطابقا لما يدور في النفس . وان كان التعبير عن أمر خارجي . وجب أن يكون مطابقا له دون زيادة أو نقصان . لأن المبالغة والزيادة كذب ، والنقصان اجحاف وبخس وهو كذب أيضا^(٢) .

وأى مجتمع من المجتمعات لن يكفل له الاستقرار والاطمئنان . لا اذا ساد الصدق بين أفرادها ، وانتشرت معدلات الاخلاص والثقة ، فتصاعدت انتاجية المجتمع ، ناهيك عن الثقة العالمية والدولية .

ثانيا - الصدق في القرآن الكريم والسنة :

جاء الصدق ومشتقاته في القرآن الكريم : في أكثر من مائة وخمسين موضعا . جاء بصيغة الفعل قال تعالى : « قل صدق الله ، فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين »^(٣) كما جاء بصيغة اسم الفاعل قال تعالى : « واذكر في الكتاب اسماعيل ، انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا »^(٤) وجاء أيضا بصيغة المبالغة . قال تعالى : « وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام »^(٥) كما جاء أيضا بصيغة الاستفهام ، قال تعالى : « قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين »^(٦) .

هذا وقد جاء وصف الأنبياء بالصدق في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، فقد جاء في شأن ابراهيم عليه السلام قوله تعالى :

(١) عبد الرحمن الميداني ، الاخلاق الاسلامية وأسسها ، دار القلم ، بيروت - دمشق ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ١ ص ٤٧٩
 (٢) مقداد يالجن ، الاتجاه الأخلاقي في الاسلام ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٢٨٠
 (٣) آل عمران : ٩٥
 (٤) مريم : ٥٤
 (٥) المائدة : ٧٥
 (٦) النمل : ٢٧

« واذكر في الكتاب إبراهيم ، انه كان صديقا نبيا » (٧) وجاء في شأن
 دريس عليه اسلام قومه تعالى : « واذكر في الكتاب ادريس ، انه
 كان صديقا نبيا ، ورفعناه مكانا عليا » (٨) . وغير ذلك كثير في آيات
 القرآن الكريم .

وهذا وقد وردت أحاديث كثيرة تحت على التمسك بالصدق وتدعو
 إليه . عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « ان اصدق يهدى الى البر وان ابر يهدى الى الجنة . وان الرجس
 يصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وان الكذب يهدى الى الفجور .
 وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله
 كذابا » متفق عليه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انبيعان
 باختيار ما لم يتمرق فان صدقا وبيننا بورك لهما في بيعهما . وان كتما
 وكذبا محقت بركة بيعهما » متفق عليه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم
 انه قال : « تحرروا لصدق وان رأيتم الهلكة فيه . فان فيه النجاة » .
 وأحاديث كثيرة أخرى لا يتسع لها المجال هنا .

ثالثا - الصدق في الوسط المدرسي :

لا شك أن توفر الصدق في جو المدرسة سوف يكون حافزا ايجابيا
 للعمل . فمدير المدرسة الذي يتوفر لديه الصدق . سوف يقبل على
 العمل بروح ضيية ينعكس اثرها على أسرة المدرسة بكل من فيها من
 العاملين سواء منهم المدرسين أو التلاميذ أو الموظفين والاداريين .
 وعكس ذلك حينما يسود جو المدرسة الكذب ، فان هذا ينعكس
 على عزوف الكثيرين عن العمل . وانعدام الرغبة أو الميل اليه .
 هذا . واذا صح أن المعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية .
 فان عليه تقع تبعة انتشار الصدق في ربوع المدرسة .
 وبمقدار ما يتمتع به المعلم من الصدق ، بمقدار الفائدة التي تعود
 على التلميذ من جهة ، وعلى المجتمع ككل من جهة أخرى .
 من هنا بات الصدق من أهم الصفات التي يجب توفرها في المعلم
 الجيد والتلميذ يقلد أستاذه . ويرى فيه نفسه ، ويؤكد فيه ذاته .
 وكلما اعتمد أسلوب المعلم مع طلابه على الصدق : كلما استطاع غرس
 تلك الصفة في الطلاب حتى تصبح خلقا فيهم .

(٨) مريم : ٥٦ - ٥٧

(٧) مريم : ٤١

رابعاً - صور من آثار الكذب في المدرسة :

توجد مجموعة من الآثار السلبية للكذب . تنتشر في انوسط المدرسى و يترتب عليها الكثير من تفشى الصفات السيئة و تعمقها في نفوس الطلاب . من هذه الآثار :

(أ) الهروب من المواجهة . فانطالب حينما يكلف بواجبات مدرسية أو أعمال فنية لصانح المدرسة سواء داخل الفصل أو خارجه . أو حتى أثناء القيام بالرحلات المدرسية . فانه يميل الى الهروب من المواجهة ولا يستطيع أداء الواجب لذاته . فيلتمس الأعذار بثنتى السبل و الوسائل مما يغرس فيه الاتكالية و الهروب . و أثر هذا في تكوين شخصية سيىء و ممقوت خصوصا حينما يشب الفرد المتعلم فيجد نفسه سببى في جميع المواقف . و يصبح شخصية تابعة . بل ممتنهنة لا يعتمد عليها و لا يوثق بها .

ولم يكن ذلك بهذا الشكل الا نظرا لممارسته الكذب حتى صار صفة متمكنة في كيانه .

(ب) الاهمال في أداء العبادات سواء منها الصلاة أو الصيام . . أو غيرهما . صفة سيئة أخرى يمكن أن تتمخض عن الكذب ، فاذا سئل الطالب عن أدائه للعبادات أجاب بالاثبات وهو كاذب في دعواه .

وهذه بلا شك من الصفات الممقوتة التى تمحق البركة من حياة افرد . و يترتب عليها تفشى صفة الرياء قال تعالى : « **واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراعون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا** » (٩) .

وما لا شك فيه أن هذا الاهمال للعبادة يترتب عليه استمراء الطالب لارتكاب كثير من المخالفات ، وقد يجره هذا الى ارتكاب الكثير من لمعاصى نظرا لأنها قد أصبحت مألوقة لديه ، مستساغة من وجهة نظره وهكذا . .

(ج) الغياب : وهذا هو بيت الداء بل هو حجر الزاوية في تفشى صفة الكذب . حيث ان الطالب يكذب على الأسرة حينما يوهمها بالذهاب الى المدرسة . و يكذب على المدرسة حينما يتلمس الأعذار عن أسباب الغياب ، وليس الغياب في حد ذاته هو المشكلة ، بل ما يترتب عليه من ممارسات تجر الى مالا تحمد عقباه .

والظواهر التي ترتبت على الغياب تكمن في :

شرب اندخان مع جماعة الرفاق . وبطبيعة الحال يصحب ذلك الكثير من المخاضات الأخرى . منها لعب الميسر . . . وهكذا تتفشى تلك الأوزار بين جماعة الرفاق حتى تصبح غير قابلة للعلاج .
والمدرسة التي لا تترجم أوتياء الأمور بضرورة الحضور الى المدرسة وابداء المرئيات حول سلوكيات أبنائهم . انما تكون بذلك قد حادت عن الجادة وقد تحسرت تماما نحو تربية أبنائها . وبالتالي نحو المجتمع الذي توجد فيه .

(د) اهمال الواجبات المدرسية : تشيع هذه الصفة بين الطلاب . ويكذبون على المعلمين . ويدعون الكثير من المعاذير . وطالما هم كذلك . فانهم يملأون فراغهم داخل الفصل بأمر أخرى تضر بانصاح العام لصحة الطلاب جميعا . من ذلك مثلا : فقد احترام المعلم . وعدم الاكتراث بما يأمرهم به من واجبات . والتهاون في أدائها . وأيضا يفقد المعلم السيطرة على الطلاب داخل الفصل . بل ربما تتفشى ظاهرة الاهمال حينما يباح للطلاب تهاون المعلم مع الطلاب المهملين الذين يستخدمون الكذب لهم مخرجا من المواقف الحرجة خصوصا ما يتعلق بالواجبات المدرسية . وهذا في حد ذاته يؤدي الى انتهاون في التعليم . والتقليل من شأنه في الوسط الطلابي .

(هـ) الحقد على المجتمع : مما لا شك فيه أن صفة الكذب . تؤدي بانفرد في النهاية الى الحقد على المجتمع . لأن النتيجة النهائية للطلاب الكاذب الفشل في التعليم . وبالتالي الفشل في الحياة . ويخرج الى الوسط الاجتماعي مملوءا بالحقد والعدوان والميل الى ارتكاب المخالفات .

خامسا - أساليب العلاج :

تكمن أساليب العلاج في معلم المدرسة . وكيف يمكن أن يتحلى بالصدق حتى يكون خلقا فيه ملازما له . . . وانتقان المعلم لدرسه وضبطه وسيطرته على الفصل . وحزمه مع التلاميذ وعدم التهاون في أداء الواجبات ومعرفته بعلم نفس الطفولة والمراهقة : كل هذه جميعا من متطلبات ترسيخ الصدق عند التلاميذ .

ولا شك أن انتقاء المعلمين وحسن اختيارهم ، والقُدوة الحسنة التي يتمتعون بها . انما يترتب عليها تقليد الطلاب لهم وجعلهم المثل

الأعلى لسلوكهم خصوصا أثناء النشاطات التي يقوم بها المعلمون .
والملاقات الانسانية الصادقة التي تتسم بها الروح الجماعية . فلا يتميز
ضابط على آخر . الكل أمام المعلم سواء في المعاملة .. وهكذا .
ولا ندعى أن المعلم وحده هو المسؤول عن انتشار صفة الصدق ..
وإن كان هو الأساس بل يشاركه مدير المدرسة والعامون بها .
ولا يمكن أن ننسى الدور الهام للآباء . فمهم بلا شك مشاركون في
هذه العملية . وعليهم العبء الأكبر لتربية أبنائهم داخل الأسرة .
من هنا فمسئولية المدرسة والأسرة غدت رئيسية حتى تتمكن من
تأهيل الصدق في نفوس الأطفال والشباب . فيصبح خلقا لهم يتمسكون
به مهما كانت النتائج .
ومدارسنا اليوم في أمس الحاجة أن تتحرى هذا الخلق . وأن ينتشر
بين ربوعها الفسيحة . وأن يخفى الكذب من بين شبابها . حينئذ تكون
المدرسة حقا قد قامت بدورها في بناء الفرد المسلم الذي تتوفر لديه
مفومات خلقية قوية .
وإذا استطاعت المدرسة أن تؤدي هذا الدور فهي بلا شك ستسهم
في بناء المجتمع . كما أنها ستخلصه من النفاق والمنافقين . الذين استمرأوا
الكذب حتى صار خلقا فيهم . لأنه يحقق لهم أهدافهم من أيسر وأقصر
النسب . مهما كان هناك من مخالفة ومهما كان هناك من تعارض مع المبادئ
والتقييم الإسلامية .
والكذب مهما جُب من ثمرة قد تكون سريعة . فإن مصيرها في
النهاية الفشل سواء في الدنيا أو في الآخرة . ويبقى الصدق دائما صفة
المؤمنين الصادقين . يقول الله تبارك وتعالى : « فمن أظلم ممن كذب
على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ، أليس في جهنم مثوى للكافرين .
والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند
ربهم ، ذلك جزاء المحسنين » (١٠) .



الصيام .. وأهدافه التربوية

* من الأهداف التربوية :

لا جدال في أن الإسلام استهدف سعادة الانسان في الدنيا والآخرة .
ولقد كان القرآن الكريم بمحتوياته الدستور الذي تضمن كل ما يسعد
البشرية . ذلك الكتب الذي فيه من المبادئ والقيم التربوية ما تقف
أمامه العقول حائرة . والأقلام عاجزة عن التصوير . ولا غرو أن نقتطف
بعض المبادئ التربوية . حتى نلمح انى مدى كانت العبادات
— ومنها الصيام — في الإسلام تسعى الى تنمية تلك المبادئ وصلتها .
كما تسعى الى تثبيته وتدعيمها .



* التربية الروحية والنفسية :

يسعى الإسلام بتعاليمه الى أن يرتفع بالنفس البشرية فوق
الصغائر . وينأى بها عن الموبقات والشهوات . ذلك أن النفس لا تذلل
لشيء ذلها لشهواتها . واستجابتها للانغماس في المنكرات والموبقات .
من هنا كان حرص الإسلام على أن يبين للفرد المسلم نتيجة حب تلك
لشهوات . وأنه مهنة . بينما الاستجابة لداعى الايمان وتقوى الله
فيها الخير والنجاة . ويبين الإسلام أن الدنيا في حد ذاتها وسينة وليست
غاية . ولا يليق بالمسلم أن يتمادى في الاستجابة لشهواته فغترل قدمه
وينحرف عن الصراط المستقيم . قال تعالى : « زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب .
قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدون فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير
بالعباد » (٢) .

واستمرارا في تهذيب الروح والنفس البشرية ، استهدفت العبادات
وعلى رأسها الصيام ، استهدفت صقل النفس وتربية الروح حتى تشف

وتسمو وتعلو فوق الاستجابة للمعاصي والموبقات • قال تعالى :
« يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
لعلكم تتقون • أياما معدودات » (٣) •

وقال تعالى . « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس
وبيينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (٤) •

وقال تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب
دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » (٥) •
وتتفق هذه الآيات فى مجملها على أن التقوى والهداية وطلب الرشد
منمحر رئيسى . وهدف أسمى من وراء عبادة الصيام • وطالما تحققت
التقوى والرشد والهداية . فان النفس البشرية والروح الانسانية .
تصبح فى مأمن من الوقوع فى مزلق العصيان •

يقول الامام البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : « يا ايها الذين
آمنوا كتب عليكم الصيام » الآية •

« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » يعنى الأنبياء
والأمم من لدن آدم عليه السلام ، وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل .
وتحبيب على النفس • وانصوم فى اللغة الامسك عما تنزع اليه النفس
وفى الشرع الامسك عن المفطرات بياض النهار فانها معظم ما تشتتبه
الأنفس • لعلكم تتقون المعصى • فان الصوم يكسر الشهوة التى هى
مبدؤها (٦) •

وفى قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »
الآية . يذكر الامام البيضاوى أن المراد بالشهر أنه « من الشهرة .
ورمضان مصدر رمض أى احترق فأضيف اليه الشهر •• وانما سموا
بذلك اما لارتماضهم من حر الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب فيه
أو لوقوعه أيام رمد الحر « الذى أنزل فيه القرآن » أى ابتداء انزاله
وكن ذلك ليلة القدر •• هدى للناس وبيانات من الهدى والفرقان .
حالان من القرآن . أى أنزل وهو هداية للناس باعجازه . وآيات

(٤) البقرة : ١٨٥

(٣) البقرة : ١٨٣ - ١٨٤

(٥) البقرة : ١٨٦

(٦) الامام ناصر الدين ابو الخير عبد الله بن عمر الشيرازى • ابوار
النزىل واسرار التأويل - المسمى تفسير البيضاوى - دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع - بدون تاريخ - ص ٢٨

واضحات مما يهدى الى الحق . ويفرق بينه وبين الباطل . بما فيه من الحكم والاحكام . « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فمن حضر في شهر ولم يكن مسغرا فليصم فيه . والأصل فمن شهد فيه فليصم . وفي غيبة تعالى : « واذا سالك عبادة عنى فانى قريب » إليه . يذكر أيضا البيضاوى : « واذا سالك عبادة عنى فانى قريب » : أى فمثل لهم على قريب . وهو تمثيل لكامل علمه بافعال العباد وأقوالهم والادلاء على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم . روى أن اعرابى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرب ربنا فغناجيه أم بعيد فغناديه ؟ فخرت : « أجيب دعوة الداع إذا دعان » تقرير لتقرب ووعده تداعى بالأجابة . « فليستجيبوا لى » إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوتهم لمهاتهم . « وليؤمنوا بى » أمر بالثبات والداومة عليه . « لتعلمم يرشدون » ، راجين أصابة الرشد . وهو أصابة الحق . واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة ، وحثهم على القيام بوظائف التكبير والتسكع عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خير بأحوالهم . سمع لأقوالهم . مجيب لدعائهم : مجازيهم على أعمالهم . تأكيدا له وحثا عليه « (٧) » .

وإذا كانت تلك الآيات تؤكد على التقوى وطلب الهداية والرشد من أجل تربية النفس وصلها . إذا كان ذلك كذلك فأننا نلمح أن الأحاديث النبوية بينت هذا ووضحته كذلك . فمن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ؛ والصيام جنة — أى وقاية من النار أو المعاصى — فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : انى امرؤ صائم ؛ والذى نفس محمد بيده لخشوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا فطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه » متفق عليه .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أن فى الجنة بابا يقال له : الريان . يدخل منه الصائمون يوم القيامة . لا يدخل منه أحد غيرهم . يقال أين الصائمون ؟ فيقومون .

لا يدخل منه أحد غيرهم . فإذا دخلوا أغلق ثلم يدخل منه أحد .
متفق عليه . ولا شك أن تلك المنزلة وتلك المكانة في الدار الآخرة . أنتي
متم لنصائمين لم تكن لتتحقق لولا أن زكت انفسهم وتطهرت أرواحهم
بالصوم .

* * *

* التربية الجسمية والبدنية :

من المبادئ التربوية التي يسعى الاسلام الى تحقيقها : المحافظه
على الجسم وصيانة البدن من كل ما يوقعه فريسة للأمراض . فضلا
عن التهلكة . والاسلام حين يقرر ذلك . يهدف أن يتمكن الفرد المسلم
من تأدية رسالته في هذه الحياة . وحتى حينما يمارس المسلم عبادة
الصيام . يسقط الله سبحانه عنه اثباتها وقت المرض . حتى يتم برؤه .
ويقوى بدنه . قال تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو على سفر
فعدة من أيام أخر » يقول انبيضاوى في تفسير تلك الآية : « فمن كان
منكم مريضا » يضره الصوم ويعسر معه : « أو على سفر » أو راكب سفر
« فعدة من أيام أخر » أى فعلية صوم عدة أيام المرض ؛ أو السفر من
أيام أخر إذا أفطر ^(٨) . وفي قوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر » أى يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر ، فلذلك
أباح الفطر في السفر والمرض ^(٩) .

من هنا فلم يكن الاسلام ديناً يستهدف تعذيب الانسان وارهاق
بدنه لم يكفه الا في حدود ما تمكنه امكانياته وقدراته . قال تعالى :
« ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم » ^(١٠) ونهى الاسلام عن
المبالغة في العبادة لدرجة يهزل معها الجسم ويضعف معها البدن ؛ فلا
تفريط ولا افراط ؛ وانما وسط واعتدال ، وقصد وتنظيم .

من هنا أباح الاسلام للفرد المسلم أن يتناول من الطعام والشراب
من وقت المغرب حتى يظهر بياض النهار من سواد الليل . وهذا في حد
ذاته اقرار للمسلم أن يتناول من الطعام ما يحفظ عليه بدنه ويصون
له ذاته . بيد أن هذا يتم في ضوء النظام الدقيق المحكم ، ووفق مواعيد
ثابتة ، لا يجحد عنها المسلم ، فيها تعليم وتهذيب ، ودروس تربوية عملية ،

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٩

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٨

(١٠) النساء : ١٤٧

يتمرس عليها المسلم حتى تصبح لصيقة به . يعيشها ويعايشها . يمارسها في أيامه العادية من العام ولا تنزلق قدمه . فيأكل ويشرب بدون وعى وبدون حساب . وأيضا عليه أن يتذكر بالجوع الشعور نحو بني جنسه من البشر ومن المسلمين . حتى يساهم بما يسعدهم ويحفظ عليهم حياتهم . يقول الامام البيضاوى في تفسير قوله تعالى : « **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** » :
 شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل . بخيطين أبيض وأسود . واكتفى ببيان الخيط الأسود لدلالته عليه . . (١١) .

وإذا كان اخرآن بهذه الدقة الكاملة الشاملة . يصون للمسلم ذاته وكيانه . فان السنة النبوية أيضا أكدت وفصلت الكثير حول هذا . وأشار النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث الى أن المبالغة في العبادة ، ومحاولة تطويع أعضاء البدن لغير ما أعدت له . انما فيه قهر للطبيعة الانسانية . وتنطع في الدين ياباه الاسلام . لأنه خروج على مفهوم مكونات الانسان . ومفهوم الوظائف البدنية . عن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاث رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم . فلم أخبروا كأنهم تقالوها — عدوها قليلة — وقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم . قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا . وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله وأتقكم له . ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى » متفق عليه .

وعن أنس رضى الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين — عمودين — فقال : « ما هذا الحبل » ؟ قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فطرت — كسلت عن القيام للصلاة — تعلقت به . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليرقد » متفق عليه .

(١١) المرجع السابق — والآية من سورة البقرة : ١٨٧

وهكذا يتضح أن انقياد الانسان للعبادة طاعة لله . محمول على التنسيق بين تحقيق العبودية لله رب العالمين . واتزان الجسم ونشاطه . حتى يقوى على معاودة العبادة والتزامها .

* * *

* التربية الخلقية :

وبلا أدنى شك . فالصيام يهذب الخلق . ويبعث في النفس حب الانفاق : والعطف على الفقراء والمعوزين . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم جوادا وكان أجود ما يكون في رمضان . عن أنس رضى الله عنه . أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى سعد بن عبادة رضى الله عنه . فجاء بخبز وزيت فأكل . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون . واكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة » رواه أبو داود باسناد صحيح . وعن زيد بن خالد الجهني رضى الله عنه . عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من فطر صائما كان له مثل أجره . غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وتدريب النفس على الانفاق ، وتعودها عليه . يصبح بعد فترة خلقا للانسان وسمة من سماته . يلتزم بها ويحافظ عليها . خصوصا اذا ذاق حلاوة الانفاق في سبيل الله وأدرك قيمته في الدنيا وعاقبته في الآخرة . قال تعالى : « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١٢) .

* * *

* التطبيق التربوى :

الصوم ينفرد من بين سائر العبادات ، بتساميه عن تحديد وتقدير جزائه عند الله رب العالمين ، وعبادة هذا شأنها ، وتلك منزلتها ، لا شك أنها الوحيدة التي يبرز فيها الصراع والكفاح من الانسان الى شيء يتعلق بذات الانسان ، لأن الصائم يجاهد ويكافح الهوى والشهوة ، لينتصر لايمانه بربه ، وليكبح جماح الالف والعادة التي تلازمه في

(١٢) البقرة : ٢٦٢

حياته اليومية . فينتصر بارادته . ويحيى ضميره . ويخضع رغبت
بدنه وروحه . فيصير صاحب الأمر عليها . بدلا من أن يكون مستسلما
ذليلا لها .

والمسلم تتنازعه قوتان : دعوة الشهوة . ودعوة الرحمن . فبينما
الأولى تستهويه ليلبي نداءها . ويستجيب لمطالبها . فان الثانية تناديه
أن يكف عن تلبية رغبات النفس وشهوات الجسم . ويطيع الله رب
العالمين . فيدع طعامه وشرابه وشهوته طاعة لله . عندئذ يصبح خليقا
بإكرام الله له مستحقا لمثوبته وجزائه العظيم . بعد أن أتى بهذا العمل
الشاق . وانتصر لنفسه من ذاته وسيطر عليها . وأيقظ فيها الضمير .
فيصبح انسانا مراقبا لأعماله . متمسكا بقيمه ومبادئه ، مجتنباً لليأس
والإخفاق عند المحن والكروب . كاظما غيظه حينما يكون كظم الغيظ
حكمة . صابرا ومتحملا في سبيل تحصيل رزقه ضاربا بأخلاقه المثل
الأعلى في محبة خوانه ، لأنه لا يستطيع أن يعيش وحده . انما هو
مرتبط بمجتمع ومرتبب بآخرين بشاركونه الحياة والعمل والمنافسة .
فلا مندوحة له من استثمار درس الصيام ، وما خرج به منه من تعنم
لصبر ورقابة على النفس وحسن العلاقات مع الآخرين .

وبهذا تؤهل نفس المسلم وتصبح مستعدة لقبول ما تفرضه الحياة
من حرمان ، وما تحدثه من أزمات . كما أن نفس الغنى تصبح مقبلة
على مساعدة المحروم ، والأخذ بيد المريض والعاجز . وبهذا يلتئم
صدع المجتمع ، بحيث يتميز عن غيره من المجتمعات غير المسلمة .
لأن الصيام قد أعد للمجتمع تماسكه . ولالأفراد ترابضهم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصيام لا ينبغي أن يكون سبب
نفرة الأفراد بعضهم من بعض . أو محركا للخلاف والشقاق . أو داعب
لإهمال العمل أو التراخي فيه ، أو التستر خلفه دفعا للوم أو تبرير
لإهمال . أو تواكلا عن عمل فالصيام فيه وحدة القلوب والمشاعر .
ولا مكان فيه لتبرير مهمل . أو اعتذار مقصر ، أو تمزيق لألفة . بل
عكس ذلك يكون . تلاق وتصاف . وتماسك وترابض تحت مظلة التوحيد
وتلبية لنداء الله رب العالمين .

ولا شك أن المجتمع المتمسك بآداء الصوم . هو المجتمع الذي
يمثل أوامر الله . ويلبي دعوته ونداءه . هو المجتمع الذي يشيع فيه
العدل والسلام والأخوة والتعاون فيقتسامي الى مستوى أرفع في

الانسانية . وهو المستوى المذهب الصافي الطاهر البعيد عن الحقد والايذاء . والفرد الصائم هو الانسان الصالح الذى يؤثر انسانيته على ما فيه من حيوانيته . فيدفع بصومه قوة اعتدائه على نفسه ويتهيأ لعدم الاستسلام للشرا أيا كان مصدره . لأنه طالما امتثل لله . فهو لا يرضخ لمسا عداه من قوى الضغيان والفساد (١٣) .

وعلى وجه العموم . فان الانسجام فى الطابع العام للمجتمع ؛ ووحدرة الشعور والروابط والاتجاه هى سمات المجتمع المسلم الصائم . الذى استطاع السيطرة على رغبات النفس ؛ وتحكم فيها بالقدر الذى يحد من متطلباتها وأغراضها . ومجتمع هذا شأنه ليس فى حاجة الى ان يراقب بعض أفراده بعضه الآخر فى أداء الواجب ؛ كما أنه ليس فى حاجة الى الشحناء والمخاصمة والتقاضى ؛ لأنه يفعل بوحى من ضميره ووحى ضميره هو ما يخشى فيه الله سبحانه وتعالى . كما أنه أمر من الله . قال تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (١٤) .

بهذه الصفات التربوية . نصل الى أن عبادة الصوم ؛ تكمن فيها الرحمة والبر والتكافل الاجتماعى بين جميع أفراد المجتمع . يشملهم جميعا العدل السماوى ، والتنظيم المحكم الدقيق الذى يتسم بالمحبة والخير والسلام .



(١٣) د . محمد على محمد المرصفى ، من المبادئ التربوية فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣١ - ١٣٤ (١٤) الأنعام : ١٥٣

رؤية تربوية في شهر الصيام

تشهد التربية في عالمنا العربي والاسلامى فى الآونة الأخيرة اضطراباً منقطع النظير . حيث بات اهتمام التعليم يقتصر على حشو ذهن المتعلمين بكم ضخم من المعلومات فى سائر مجالات العلوم والفنون . وغدت التربية مفهوماً الصحيح غير واضحة . وتتضح هذه الصورة حينما نلمح أن المغزى التربوى لبناء الفرد فى جميع النواحي الجسمية والعقلية والخفية والنفسية والجمالية غير محقق بالشكل المأمول .

وان كنا نناقش تناول فى هذا المقام أسباب هذه الظاهرة . الا أننا نسير فى عجالة سريعة الى ملمح يكاد يكون ظاهراً لكل ذى بصيرة . ذلك أن التربية فى كثير من بلاد المسلمين اعتمدت فى بنائها على كثير من الفكر انواقى . برز أثره واضحاً فى عدم وفاء التعليم لتحقيق الكثير من أهدافه . خصوصاً اذا أدركنا أن تلك الأهداف لا تتوافق — فى غالبيتها — مع المنهج الاسلامى .

من هنا فلا مناص من وقوع المتعلمين فى ذبذبات بين واقع يعيشونه فى المدرسة وبين قيم اسلامية تعتمد على الفكر الاسلامى والمنهج الاسلامى ينشد المجتمع تحقيقها فيهم . ولا جدال أنه لو صلح المنطق الذى تستمد منه التربية بنيتها لصلح التطبيق التربوى . ولاستقام بالتالى النظام التعليمى . واذا اتضح لدينا أن منطلق التعليم الحالى يشتمل — فى كثير منه — من فكر سياسى أو اقتصادى أو ثقافى أو كلها مجتمعة . اذا اتضح ذلك . فقد بدت النتائج التربوية المنشودة متحذمة فوق صحرة التقيد . وتحت مظلة الأنظمة الجامدة فى التعليم .

والفرد المسلم فى عصرنا بات لا هم له سوى الشكليات دون العمق . والمظهر دون المخبر . خصوصاً وأن بنية تكوينه اعتمدت فقط على منهج يحفظ ، وكلمة تكتب ، ضارباً عرض الحائط بالقيم الأخلاقية الصحيحة . والمغزى التربوى لعبادات المكلف بها من لدن رب العباد سبحانه وتعالى .

بيد أننا لو عدنا الى الاسلام . فسوف نلمح أن سائر العبادات — ومنها الصيام — تعتمد على ركيزة واضحة ، هى عدم الشرك بالله رب العالمين .

ولكن كيف كان ذلك ؟ إذا نقى الضمير عند الفرد معلما أو متعلما . إذا نقى من أوشاب الشرك في جميع صورته ، وإذا تطهر القلب من أوشاب الخرافة . وإذا تخلص المجتمع من تقاليد الجاهلية ، وإذا تطهرت الحياة من عبودية العباد للعباد ، إذا توفر ذلك ، حينئذ يكون ارتباط الفرد المسلم بربه وعلاقته به على بصيرة .

ثم تأتي علاقة الجماعات والأفراد . مقاسة بهذا المعيار الثابت — عدم الاشراف بالله — الذي نرجع اليه في كافة الروابط ، ومقاسة كذلك بالقيم الاسلامية التي شأنها أنها تحكم الحياة البشرية ، فلا تظلم بها لريخ الشهوات والنزوات ، واصطلاحات البشر التي تتراوح مع النزوات والشهوات (١) .

هذا وإذا كنا في مجتمعنا الاسلامي ننشد الإصلاح والإصلاح ، وإذا تخلصنا من الشكليات والمظاهر في الممارسات الدينية . وخصوصا التي ترتبط ارتباطا مباشرا بقياس قدرات الفرد النفسية والخلقية ، إذا استطعنا ذلك ، فلا مرء في أننا نكون قد ترجمنا المبادئ الدينية الى واقع تربوي نحسه ونلمسه ، في جميع الجوانب والاتجاهات .

وعبادة الصيام تنفرد من بين سائر العبادات بكونها كفاحا وجهادا موجها من الذات ضد الذات ، وموجها من نفس الانسان ضد رغبات جسمه وبدنه . عن أبي هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : الا الصوم فانه لى وأنا أجزي به . يدع شهوته وطعامه من أجلي » (٢) .

وربما لا نجانب الصواب حينما نقرر بداية ، أن فريضة الصيام تحقق رؤية تربوية . لا تتوفر في أى منهج وضعى ، مهما سمت مكانته ، ومهما اتسع مداه ، ذلك أن الصيام بثبكله ومضمونه ، يرشدنا الى مجموعة من الأسس التربوية التي سوف نجليها على الوجه التالي :

أولا : التربية الصحية .

ثانيا : التربية النفسية .

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط (١٠) . ١٩٨١ ،

ج ٣ ، ص ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ .

(٢) د. محمد على المرصفي ، من المبادئ التربوية في الاسلام .

عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٣١

- ثالثا : التربية الخلقية .
- رابعا : التربية الروحية .

* * *

أولا - التربية الصحية :

الصوم في الاسلام فيه جهد مثمر ومنظم . لترقية الطبيعة البشرية وتطويرها ، في حدود غطرتها وطاققتها وطبيعتها تكوينها ، أو بمعنى آخر يعتبر الصوم منهجا اسلاميا للتربية . فيه من النماء ما يتوافق وحاجة الانسان ، خصوصا وأن هذا المنهج مصدره خالق السموات والأرض : « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » (٣) وتنتضح هذه الصورة في أن آيات الصيام : تقرر للمؤمنين وتحل لهم مباشرة النساء في ليلة الصوم ما بين المغرب والفجر . وتحل لهم الطعام في نفس الوقت كما تبين حكم مباشرة في فترة الاعتكاف في المساجد . قال تعالى : « **أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تخطئون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، الآن باسروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** » (٤) .

وقد نزلت هذه الآية : بعد أن شق على المسلمين أن يلتزموا التطبيق العملي للصوم في شكل أحكامه الأولى . التي كانت تحتم على المسلم اذا نام بعد افطاره أن يمتنع عن الطعام والشراب ومباشرة النساء : حتى ولو استيقظ قبل الفجر ، كما شق على المسلمين ذلك . فدلهم الله الى اليسر ، ليشعروا بقبمته ، ومدى الرحمة والاستجابة .

وتيسيرا على الفرد المسلم ، واعترافا ببشريته وطبيعته الانسانية ، في عدم كبت حاجاته وشهوته ، واستجلابا لتنشيطه حتى يقوى على العبادة ، استجلابا لكل ذلك أباح الاسلام مباشرة للنساء ، ما بين المغرب والفجر : « **أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم** » والرفث قد يكون مقدمات المباشرة ، أو المباشرة نفسها ، وكلاهما مقصود

(٤) البقرة : ١٨٧

(٣) الملك : ١٤

هنا ومباح . غير أن تلك العلاقة الزوجية ؛ دافعها الرفق والرحمة ؛
 « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » فائصلة بين الزوجين تستر كلا
 منهما وتقيه . فالاسلام ينظر للفرد المسلم بشكل شمولي . من ظاهره
 وباطنه . ولا يكبت له رغبة . ولا يحبط له ارادة طالما كان دافعها
 صيانة الفرج وحفظه بالحلال المشروع .

ويتضح منهج الاسلام في النظر الى الانسان بشكل شمولي . في
 كونه يتحسس انزعجات المكبوتة . خصوصا عندما نعلم انه قد ورد أن
 بعض المسلمين قد وقع فيه . عنى مفهوم الصيام في سورتته الأولى .
 حيث ورد ان بعضهم قد نام بعد الافطار . او نامت امرأته . ثم وجد
 في نفسه دفعه للمباشرة ففعل . وبلغ امره الى النبي صلى الله عليه
 وسلم . وبدأت المشقة في اخذ المسلمين بهذا التكليف . فردهم الله الى
 اليسر . . . ونزلت هذه الآية : « ادل لكم ليلة الصيام » . بعد أن ظهر
 الضعف وبدأت ظواهره : « علم الله انكم كنتم تخفون انفسكم فتأب
 عليكم وعفا عنكم ، فالآن باثروهن وابتغوا ما كتب الله لكم » .
 ابتغوا هذا الذي كتبه الله لكم من المتعة بالنساء . ومن المتعة بالذرية
 — ثمرة المباشرة — فكنتاهما من أمر الله . ومن المتاع الذي أعطاكم
 اياه . ومن اباحتها واتاحتها بباح لكم طلبها وابتغائها . وهي موصولة
 بالله فهي من عطائهما ؛ ومن ورائها حكمة . ولها في حسابه غاية . فليست
 اذن مجرد اندفاع حيواني موصول بالجسد . منفصل عن ذلك الأفق
 الأعلى الذي يتجه اليه كل نشاط .

بهذا ترتبط المباشرة بين الزوجين بغاية أكبر منهما . وأفق أرفع
 من الأرض ومن لحظة اللذة بينهما . وبهذا تنظف هذه العلاقة وترقى
 وترقى . . . « (٥) » .

وليس بعد هذا تكريم لانسان . وتربية صحية له . تراعى فيها
 الحاجات . وتنشط الهمم . وتسقط دواعي الاحباط . فلا رهبانية في
 الاسلام . ولا كبت فيه لحاجة فيها صلاح للبدن وتنشيط للعبادة .
 وتربية للفرد المسلم .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاسلام وهو يتيح للمسلم هذه
 الامكانيات يراعى مصلحة الفرد ويضعه فوق كل اعتبار .

(٥) سيد قطب . في ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ١ ص ١٧٤ ، ١٧٥

وتبدو هذه الصورة واضحة في مجموعة من الاجراءات :

* النهى عن الكلفة والمشقة :

حيث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اوصول في الصيام .
رحمة بالمسنم واشفاقا عليه . عن ابي هريرة رضى الله عنه قال . قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والوصول » قانوا : فانك
تواصل يا رسول الله . قال : « انى لست كأحدكم . انى بيت يطعمنى
ربى ويسقبنى . فاكفوا من الأعمال ما تطيقون » (٦) .

* اباحة الفطر لذوى الأعذار :

وتتضح هذه الصورة حينما يبأح للمريض والمرضع والحامل .
الافطار شريطة أن يؤدوا الصيام بدلا من الأيام التى أفطروا فيها .

* تحقيق التوازن بالصيام :

يتضح ذلك حين نعم ان المسلم له أن يتناول طعامه وشرابه
باتزان : قال تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » (٧) .

* * *

ثانيا - التربية النفسية :

لما كان الصيام قد تبدو في ظاهره المشقة والنقهر للشهوات
والحاجات ، كان لابد للفرد المسلم من عوض كامل عن مشقة الصوم .
قد بدا ذلك في استجابة الله لدعائه . قال تعالى : « واذا سألك عبادى
عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا
بى لعلمهم يرشدون » (٨) . وقد أجاب الله عز وجل عباده عن سؤالهم :
حيث قال تعالى مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم : « انى قريب »
وَم يُقَلِّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : أسمع الدعاء . وانما عجل باجابة الدعاء :
« أجيب دعوة الداع اذا دعان » فى ظل هذا الأئس وهذا المقرب ،
يوجه الله عباده الى الاستجابة له . والايامن به . لعل هذا أن يقودهم

(٦) صحيح مسلم شرح النووى ، دار الفكر للطباعة والنشر والنوزع ،

١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م . ج ٧ . ص ٢١٢ - ٢١٣

(٨) البقرة : ١٨٦

(٧) الاعراف : ٢١

الى الرشد والهداية والصلاح : « فليستجيبوا لى وليوموا بى اعلمهم
يرشدون » ونفيد الايه ان ائتمره الاخيرد من الاستجابة والايمن
هى لهم حدك .. وهى ائتمرد والهدى والصلاح . هالله عنى عن اعالمين .
واستجابه الله لتعباد مرجوة حين يستجيبون به وهم يرشدون « ١١٠ » .
من هذا المنطق فلا عرابه ان ياتى ددر دعاء لى تنايا احديث عن
الصيام . حتى تستنار الهمم وتنشد العزائم . وان كانت العبادة لى
شانهها فائمه فهى من لامور التعبدية .. قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ثلاثه لا ترد دعوتهم : الامام العادل . والصائم حتى يفطر .
ودعود المظلوم يرفعها الله دون العمام يوم القيامه . وتفتح لها ابواب
السماء . ويقول : بعزتى لانصرنك ولو بعد حين » .

ولما كان مفهوم التربية النفسية . يعتمد لى اساسه على تحقيق
اتوازن لبناء الشخصيه السويه لى تتوافق بداخها الاهداف . فلا
يضعى احدها على الاخر . لما كان ذلك كذلك . اتضح لدينا ان الصيام
يقوم باداء هذه التربية بصورة كاملة متكاملة . حيث ان الفرد المسلم
— وهو يودى فريضة الصوم — يوقن تمام اليقين ان ربه الذى كلفه
وغرض عليه الصوم . يشد من ازره . وياخذ بيده . ويحقق له هدايه
طلما انها لى غير معصية . وفى صحيح مسلم . عن النبى صلى الله
عليه وسلم . انه قال : « لا يزال يستجاب لسعيد ما لم يدع باثم او قضيعة
رحم ما لم يستعجل » . قيل : يا رسول الله .. وما الاستعجال ؟ قال :
« يقول قد دعوت . وقد دعوت . فلم ار يستجاب لى . فينحصر عند
ذلك ويدع الدعاء » (١٠) .

* * *

ثالثا — التربية الخلقية :

ترتبط الاخلاق لى الجانب الأكبر منها . ارتباطا جوهريا بالدين
وبمبادئه . وبالقيم والفضائل التى قام عليها الدين واستند اليها .
ونادى بها . من هنا يمكن القول بان القيم والقواعد والفضائل الخلقية .
لى مجتمع متدين . هى قيم وقواعد وفضائل دينية . حتى حينما يكون
مصدر الاخلاق احيانا التجربة الشخصية وتوقعات المجتمع وتأثيراته

(٩) سيد قطب . فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ١ ص ١٧٣

(١٠) المرجع السابق . ص ١٧٣ : ١٧٤

وسلطة القانون والعرف والتقاليد ، فانه لا يعتد بهذه الأخلاق الا اذا كانت متمشية مع الدين . مما يجعل المصدر النهائي في الحكم على السلوك البشرى سواء بالخيرية أو الشرية هو الدين .

وحينما يصبح الدين مصدرا للأخلاق . فان هذا يكسبها شيئا من الاحترام والتقدير والموضوعية والثبات النسبي . وأمر طبيعي أن لا يتوفر هذا في الأخلاق التي مصدرها القوانين الوضعية^(١١) .

هذا ولما كن من شروط الأخلاق الصالحة : الشمول والتوازن والاعتدال والواقعية واليسر والربط بين الاعتقاد والعمل ، وبين القول والفعل . وبين النظرية والتطبيق ؛ لما كان الأمر كذلك ، فلا غرابة أن تحتل التربية الأخلاقية مساحة لا بأس بها في فريضة الصيام نلمح هذا في الآتي :

* الالتزام بالطاعة وعدم الاعتداء أو سب المسلمين :

يتضح هذا حيث ان الصائم عليه أن يلتزم الطاعة وقت صومه . فلا يسب احدا من المسلمين . فقد قال صلى الله عليه وسلم : « اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم » .

* تطويع النفس لممارسة الخلق الحسن :

ويمكن تحقيق هذا الهدف حينما تتمرس النفس على كسر الشهوات ، ففتتصاع فيحصل لها اعتياد والف ثلاثيان بالجميل ، قال صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

* التزام صفة الكرم :

ولا شك أن هذه الصفة ، اذا سادت المجتمع . فان فئة الفقراء والمساكين ، تحصل على ما تحتاجه ؛ وتنال ما ترجوه من العيش دون ما تمسكن أو مبهألة . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كريما جوادا وكان كرمه يزداد في شهور الصيام .

* * *

(١١) محمد على الرصفي . حسن عبد العال : في اصول التربية ، مطبعة التقدم ، طنطا . ١٩٨٥ ، ص ١٤٨

رابعاً - التربية الروحية :

أقترنت فريضة الصيام في مفتتح الآيات التي تتحدث عنها بالتقوى . كما اختتمت أيضا بالتقوى . وهذا يؤكد ويدلل أن رجاء التقوى من العباد هدف روحى . ومغزى جوهرى . تسعى انعبادات كلها الى تحقيقه ومنها الصيام . فاذا تهذبت الروح . واذا تحققت التقوى . فقد امتلك المسلم زمام نصرافته وأصبح على بصيرة من أمره . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١٢) .

وقوله تعالى : « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » (١٣) . « فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة ، طاعة لله . وايثارا لرضاه . والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من افساد الصوم بالمعصية . ولو تلك التي تهجس في البال : والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ووزنها في ميزانه . فهي غاية تتطلع اليها ارواحهم .. وهذا الصوم أداة من أدواتها . وطريق موصل اليها .. ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفا وضيئا يتجهون إليه عن طريق الصيام » (١٤) . وكما بدئت آيات الصيام بالتقوى اختتمت بالتقوى : « كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » وبهذا يبين أن التقوى غاية . يبين الله آياته للناس ليلبغوها . وهي غاية كبيرة يدرك قيمتها الذين آمنوا وهم المخاطبون بهذا القرآن في كل حين (١٥) .



* خلاصة :

من العرض السابق يتضح أن الصيام في هذا العصر . وفي كل عصر . ضرورة ملحة . بل ومعسكر ترويضى . يخرج منه الفرد المسلم وقد سمت نفسه . وشفت روحه . واستقامت صحته . وانتظمت أخلاقه ، فلا افراط ولا تفريط . ولا غلو ولا تهاون . بل وسط واعتدال وتناسق

(١٣) البقرة : ١٨٧

(١٢) البقرة : ١٨٣

(١٤) سيد قطب . في ظلال القرآن ، مرجع سابق . ج ١ ص ١٦٨

(١٥) المرجع السابق : ص ١٧٦

واتزان في جميع المجالات ، ما يرتبط منها بالدين ، وما يرتبط منها
بأنسوك . ما يرتبط منها بالنظر وما يرتبط منها بالعمل : « وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون » (١٦) ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون » (١٧) .

* * *